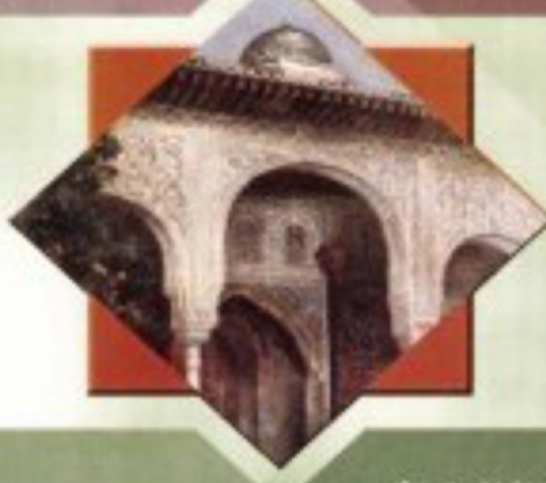
التدريب وأهميته في العمل الإسلامي

الدكتور
محمد موسى الشريف



دار التربية
دار التركية

التدريب وأهميته
في العمل الإسلامي

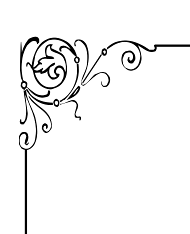
الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م

التدريب وأهميته

في العمل الإسلامي

الدكتور

محمد موسى الشريف



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

إن قضية التدريب ـ في ظني وتقديري ـ من القضايا المهمة في العمل الإسلامي، لهذا أفردت لها كتاباً سعيت فيه لتأصيل هذه القضية بإيراد النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، وإيراد عمل السلف الصالح رضي الله عنهم، وأوردت كذلك عدداً من الحوادث التاريخية منذ زمان أولئك الأطهار إلى يوم الناس هذا، وأردت من هذا الحشد للآثار والحوادث إبراز الأهمية التي أولاها الصالحون لهذه القضية.

وقد أوردت في ثنايا البحث أحداثاً وأمثلة من زماننا تبيِّن مدى تقصيرنا في الأخذ بالتدريب الجاد، وأنه يجب علينا تدارك هذا الأمر في حياتنا؛ إذ كثر حديثنا عن الإصلاح بأساليب هي أقرب إلى التنظير والإدارة الفوقية، وقَلّ ـ إلى حد بعيد ـ التدريب العمليّ على تخطِّي الصعاب وتجاوز العقبات.

وقد عرضت في ثنايا البحث صوراً على النجاح المقترن بالاهتمام بتلك القضية، أو الفشل المتسبب من إغفال الأخذ بها، وأوردت كلام

بعض المهتمين بمثل هذه القضايا، وشفعت ذلك كله بذكر طرائق للتدريب مقترحة في بعض جوانب العمل الإسلامي.

ومن المعلوم أن التدريب هو أحد جزْأَي التأهيل، إذ التأهيل يعمُّ الجانب النظري والعمليّ معاً، لكن لما كان الجزء النظريّ قد أُشبع بحثاً وقتل درساً؛ إذ أُلفت فيه مصنفات كثيرة، وأقيمت لأجل فهمه مؤتمرات واجتماعات، لما كان كذلك رأيت أن أتحدث عن الجزء العملي الذي أظن أن الحاجة ملحَّة لبيانه وتوضيحه، وحسبي أن أنبِّه على الداء وأذكر بعض أساليب العلاج، وأفتح الباب بهذا على مصراعيه للمشاركة في هذه القضية التي أحسبها على غاية من الأهمية.

هذا وإني لأرجو أن أكون قد وفقت في الاستنباط والعرض، وأن يدخر الله لي ثواب ذلك العمل ليوم العرض، والله تعالى الموفِّق لكل ما يحبُّه ويرضاه.

تمهيد

إن العمل الإسلاميّ المعاصر تظهر معالمه في صور متعددة، فهناك المسجد وحلقاته ودروسه، وهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجامعات الإسلامية، والمراكز الدعوية الرسمية منها والتعاونية، ومراكز دعوة الجاليات، والعمل الإعلاميّ والاقتصادي، وجهود الأفراد والجماعات في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى.

والعلة الكبيرة في جُل تلك الأعمال ـ فيما أظن وأُقدّر ـ هي ضعف التدريب وسوء التوجيه وقصوره؛ فالمسلم المعاصر مطالب بالدعوة إلى الله تعالى ـ كما طولب أسلافه ـ بنص كتاب الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(١). ثم إنه ـ في حقيقة الأمر ـ لا يعرف الكيفية الإيجابية للدعوة، ولا الخطوات الشرعية الصحيحة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بسبب أنه لم يُدرَّب على ذلك التدريب الكافي، أو لم يدرَّب على ذلك أبداً، ولم يُخط معه الخطوات اللازمة لتعريفه وإرشاده.

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٤.

والشواهد على هذه المسألة أكثر من أن تُحصر وأكبر من أن تُغفل فتُحضر؛ فالمسجد ـ مثلاً ـ يقوم عليه إمام حائز على شهادة نظرية، لكنه لم يدرَّب على الإمامة ومواجهة المصلين والقيام بحقوق أهل الحي وجمع قلوبهم وجهودهم والإجابة على أسئلتهم الشرعية والاجتماعية، بل جيء به ـ غالباً ـ إلى مسجد ما ولم يسبق له أن دُرب على ما سيقبل عليه، والأدهى من ذلك أنه يؤتى بأشخاص إلى الجوامع الكبيرة والمساجد المهمة، وكل ما يملكونه من رصيد هو جمال الصوت، لكن لم يدربوا ولم يؤهَّلوا، بل أزعم أن أكثر الأئمة ليسوا على شيء صحيح ذي أسس قويمة بل هم مجتهدون فيما يزاولون، محاولون أمراً ليس لهم به معرفة ولا تجربة، وأقصى ما عند أكثرهم شهادة شرعية لم يخالطها أو يتبعها تدريب مناسب.

والجامعات الإسلامية يضعف فيها التدريب ضعفاً ملحوظاً، وبعض الجامعات تكتفي ـ لتحقيق متطلبات التخريج ـ بإلزام طلابها بتدريس بعض الحصص لطلاب المدارس، وهذا لا يكفي في تأهيل المتخرج في تلك الجامعات وإعداده للواجبات الملقاة على عاتقه، وحتى حصص التدريب هذه فإنه لا يدرب عليها وليس له سابق معرفة عما سيصنعه مع الطلاب.

والمراكز الدعوية ومراكز دعوة الجاليات إنما يتصدى للعمل فيها أناس نحسبهم مخلصين لكن يُعْوِزهم التدريب الكافي، والكثرة الكاثرة منهم إنما تتلقى تدريبها أثناء العمل، وتستخلص خبرتها بدوران عجلة العمل اليومية، وليسوا مدرَّبين في الأصل التدريب الكافي على هذا العمل المهم.

والعمل الخيري الإغاثيّ والتربويّ ـ في هيئاته وجمعياته ولجانه ـ يقوم عليه أناس لا تنقصهم الغيرة ولا الحماس لكنهم غير متخصصين، ولا دربوا التدريب الكافي على هذا الباب المهم من أبواب العمل الإسلاميّ، إلا قليلاً منهم، والقاعدة ما ذكرت.

والعمل الإعلامي ـ المقروء والمسموع والمرئيّ ـ يقوم عليه أشخاص ليس لأكثرهم تجارب سابقة، ولا تصورات صحيحة، ولا قواعد منضبطة مستقيمة فيما ينبغي عليهم عمله أو تركه، وما الذي يبث وما الذي يحجب عن العامة، وهكذا. . .

وهناك أمر عجيب، وهو أن المشاركين في الكتابة الإسلامية الناقدة لجوانب العمل الإسلامي المختلفة ـ ما ذكرته منها آنفاً وما لم أذكره ـ ليس لأكثرهم خبرة كافية فيما ينقدونه، ولا لهم مشاركة حاكمة دقيقة إلا ما يرونه من آثار تلك الأعمال ونتائجها.

بل إن كثيراً من الكاتبين في الشؤون الإسلامية العامة في جوانبها المختلفة إنما يتناولون موضوعات لم يحسنوا فهمها، ولا مارسوها، ولم تكن شيئاً واقعاً في حياتهم، ولم يلمسوها أو يتعرفوا عليها عن قرب، إنما هو حماس متدفق وغيرة تنقصها الخبرة والمعرفة والتدريب الكافي على حسن التناول والأخذ:

لا يعرف الشوق إلا من يكابده
ولا الصبابةَ إلا من يعانيها

لذلك كله احتاج العمل الإسلامي ـ بجوانبه المختلفة ـ إلى الأخذ الجاد بأساليب وطرائق التدريب العملي القائم على أسس نظرية صحيحة حتى نستطيع أن نستجيب لمتطلبات هذا العصر المعقدة،

ونجاري غيرنا من الأمم الكافرة التي استطاعت أن تصل إلى درجات عالية من الرقي لأخذها بجملة أسباب، منها التدريب الجاد والمتواصل في مجالات الحياة كلها تقريباً.

أما الحديث عن أفراد الدعاة إلى الله تعالى وأحوالهم في باب التدريب والممارسة فهو حديث ذو شجون وهموم، وتناوله يحتاج إلى بسط وتفريع.

وهناك أعداد ضخمة من المسلمين الصالحين اعتاد المجتمع على وصفهم بأنهم دعاة إلى الله تعالى، وقد يكون بعضهم قد حاز هذا اللقب الشريف حقاً، لكن أكثرهم لم ينله بعد، هم صالحون حَسنو النية والقصد، سليمو الفطرة، جميلو الفعال.. لكن الحديث عن الدعوة شيء آخر، والوصف بهذا اللقب الشريف يحتاج إلى تمهُّل وتريُّث؛ فالداعية إلى الله تعالى هو من يغْشَى المجتمعات، ويناقش ويجادل بالحسنى، ويعرض الحجج؛ ويبرهن على صحة قضيته وصواب عمله، ويجهد في ذلك كله، وهو مع ذلك يذكر بالله حالهُ ومقالهُ، فعلى هذا أقرر أنه قد نال كثير من المسلمين درجة الصلاح، لكن أن يكونوا دعاة فتلك قضية أخرى.

وهناك فئة من الصالحين قد داروا في حلقة مفرغة من القضايا النظرية التي هي أقرب إلى الإجراءات الإدارية منها إلى الدعوة العملية، فهؤلاء قد قَصّروا في بلوغ منزلة الداعية إلى الله تعالى وإن كانوا في أعمالهم تلك على خير نرجو أن يكونوا فيه مأجورين مثابين، إن شاء الله تعالى، وهذا التقصير مردُّه إلى الطبيعة التي طُبع الصالح عليها لا إلى تعمده إغفالَ الخلطة المحمودة لطوائف المسلمين وإرشادهم عملياً والأخذ بأيديهم دائماً وعليها أحياناً.

إن أولئك الصالحين ـ أو من نحسبهم كذلك ـ غفلوا أو أغفلوا أهمية أن يقرن القول بالعمل في هذه المسألة المهمة، بمعنى أنه لا يمنعه الانهماك المتواصل في التخطيط والإدارة أن يبذل شيئاً من جهده للالتفات إلى الناس ومعرفة كيفية الوصول إلى قلوبهم وعقولهم.

كيف يكون داعيةً من لا يستطيع الحديث في المجالس، أو لا يجيد توجيه أحاديثها، أو أنه لا يغشى مجالس الناس أصلاً، ولا يتعب نفسه في المحاورة مع أهلها، ومجتمعنا المعاصر بحاجة ماسة إلى من يأخذ بيده ويجادل المعاند والضالَّ، ويشجع المتردِّد ويأخذ بيد المقدِم، وأزعم أن المقدم قد وَجَدَ من يأخذ بيده لكن الطوائف الأخرى لم تُسعد بعد ولم توجه لها الجهود الكافية.

إن دعاة اليوم لم يدربوا على هذا الأمر، ولم يفكروا فيه كما ينبغي، إلا طوائف قد نذرت نفسها لهذه القضية التبليغية، مغفلة ما سواها من قضايا مهمة كثيرة، فالتوازن المطلوب هو أن يكون الدعاة جامعين بين الدعوة العملية والإدارة النظرية، ولو أُغفل جانب وعُني بآخر لحصل النقص واتسع الخرق.

يقول الدكتور البوطي حفظه الله تعالى معبِّراً عن هذه القضية الشائكة: قضية تحقق الداعية باسمه، وعمله على مقتضى وصفه:

«إن كلمة (الدعوة) تدل على معنى لا يتحقق إلا من خلال طرفين اثنين: داعٍ يرشد ويبين ويدعو، ومدعوّ ينطق واقعه بالحجة لمن يرشده ويبيِّن له الحق ويأخذ بيده لينهضه من عثراته الفكرية، ويحرره مما علق به من شبهات وأوهام.

أي أن عملية الدعوة إلى الله لا يمكن أن تتم من خلال نشاط يدور

في نطاق طرف واحد، بل لا بد لتحققها من أن يسري هذا النشاط ما بين طرفين اثنين: طرف يرشد ويحاور ويعلِّم، وطرف آخر يتلقى ويتعلَّم ويتجاذب مع الطرف الأول زمامَ النقاش والحوار. . .

وأعتقد أن فينا من يقول: إن هذا شيء بدهيّ، ولعل أحداً لا يحتاج إلى بيانه أو تأكيده.

وأقول: أما إنه بدهيٌّ فنعم، وأما إن أحداً لا يحتاج إلى التنبه إليه فإن الواقع ـ ويا للأسف ـ لا يؤيد ذلك. . .».

ثم أخذ في تقرير أن أكثر الدعاة يمارسون أنشطة قد لا تمت إلى واقع الناس بصلة، أو ليس فيها خلطة بجماهير الناس لأجل هدايتهم وإرشادهم.

وعلى أن كلامه ـ في تقريره الأخير هذا ـ فيه تعميم وبعضٌ من الخلط، لكنه ينطبق في بعض جوانبه على واقع كثير ممن يُطلق عليهم دعاة.

ثم ذكر أن هناك برزخاً بين هؤلاء النفر من الدعاة وبين «الخليط من التائهين والجانحين والجاهلين، فليس بين هؤلاء وأولئك أيّ تلاقٍ على صعيد دعوة أو نقاش أو حوار، بل بوسعك أن ترى بدلاً من ذلك فئاتٍ شتى من أصحاب المذاهب والأفكار الهدامة يتغلغلون بين خليط هؤلاء التائهين والجهال. . . فيجلسون إليهم ويؤانسونهم، ثم يبثُّون في أفكارهم عوامل الشبهات والريب، ثم يسعون إلى إحلال أفكارهم ومذاهبهم الباطلة محلَّ قناعاتهم الدينية التقليدية، وذلك بأساليبَ شتى من الحوار والنقاش. . .».

ثم ذكر أنه «مهما كانت الأعمال التي ينهض بها هؤلاء الإسلاميون

صالحة ومفيدة فإنها لا تقوم مقام واجب تعريف الناس بالإسلام ودعوتهم إليه قَطّ. . . »[١].

وبيَّن أنه «لو أن رجال الدعوة الإسلامية في مجتمعاتنا توجهوا إلى حشود هؤلاء التائهين يلقونهم في أنديتهم وأسواقهم، أو مدارسهم وجامعاتهم، يبصِّرونهم بحقائق هذا الدين، ويحاورونهم في إزالة شبهاته، تَحدُوْهم إلى ذلك[٢] نوازع الإخلاص لوجه الله والشفقة على عباد الله، إذاً لاستأنس أولئك التائهون بهم وركنوا إليهم، ثم أصغوا باهتمام إلى نصائحهم وبياناتهم، ولا بد أن تسري أشعة الهداية أخيراً إلى عقولهم وأفئدتهم. . . »[٣].

وأحسب أن كلامه هذا معبر عما أريد الحديث عنه، مجمل لما سأقوم ـ إن شاء الله ـ بتفصيله.

ويقول الأستاذ عبد البديع صقر رحمه الله تعالى: «لا يستحق اسمَ الداعية إلا من كان صالحاً لهذه الوظيفة الربانية، بأخلاقه وتخلّقه جميعاً، كما يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[٤].

فالداعية إنسان مجهز تجهيزاً خاصاً ليقوم بمهمة شاقة دقيقة كتلك التي دعا إليها الأنبياء والمرسلون، فما أعظمها من رسالة. . . »[٥].

(١) «الجهاد في الإسلام»: ٤٢ ـ٤٥.
(٢) أي: يحملهم على ذلك.
(٣) «الجهاد في الإسلام»: ٢٠٨.
(٤) سورة فاطر: آية ٣٢.
(٥) «كيف ندعو الناس»: ١٠٨ـ١٠٩.

وقول هذا الأستاذ: «الداعية إنسان مجهز تجهيزاً خاصاً» هو المحور الذي يدور عليه هذا الكتاب، والقطب الذي يربط به ما أوردته في ثناياه من مباحثَ وأبواب، والله الموفق للصواب.

ويقول أحد المفكرين: «إن أوضاع بعض العاملين للإسلام مؤسفة، وذلك لتركيز كثير من العاملين على القضايا النظرية الأكاديمية... الأمر الذي جعل نسبة العاملين المثقلين بالأعباء لا تزيد عن ٥٪ بينما يظل ٩٥٪ متفرجين.

وهؤلاء يكونون كَلّاً وعبئاً ثقيلاً تحملهم المؤسسة عوضاً أن يحملوها...»[١].

إن أوضاع المؤسسات الإسلامية لا تكون في حالة جيدة إلا إذا «تحولت إلى خلية نحل ـ مثل خلايا النحل أو النمل ـ مفعمة بالطاقة والحيوية، وقائمة على أداء المهام النافعة في المجتمع لاضطلاع كل فرد فيها بدوره ووقوفه على ثغرة من الثغور»[٢].

وقد يُظهر تحليل إحصائي تقريبيّ أن الأوقات التي يبذلها العاملون في المؤسسات الإسلامية وكذلك الأموال والجهود إنما يصرف ٧٠٪ منها لمعالجة الشؤون الداخلية لتلك المؤسسات، بينما يخصص ٣٠٪ فقط لصالح المجتمع الخارجيّ، في حين ينبغي أن يكون الترتيب الصحيح عكس ذلك تماماً[٣].

---

(١) «دليل التنمية البشرية»: ٢٢ بتصرف.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق: ٣١ بتصرف يسير.

ينبغي التأكيد ـ دون هوادة ـ على ضرورة تبني المؤسسات الإسلامية مشكلات الأمة الإسلامية وإيجاد الحلول لها، كما يجب عليها توجيه معظم جهودها لمعالجة تلك القضايا، كي تطمئن الأمة إلى أن هذه المؤسسات هي حارسها الأمين[١].

فعلى الدعاة إذاً أن يسعوا لتحقيق التغيير في المجتمع وأن يسهموا فيه؛ فكل برامج التدريب وتزكية النفوس إنما تهدف إلى جعلهم أداة في عملية التحويل الاجتماعيّ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[٢].

نعم إن عجلة الحياة اليومية لأصحاب القضية الدعوية قد تمنع من النظر الكافي لمعالجة هذا الأمر على ما ينبغي أن تكون عليه المعالجة، لكن لا بد مما ليس منه بُد، وهذا الأمر ليس من الأمور القابلة للإغفال، بل هو أُسّ العمل وأساسه، وأيضاً ينبغي أن ينبعث شعور ذاتي من كل عامل لله تعالى أنه ينبغي عليه أن يرتقي بنفسه دوماً وأبداً، وأن يلتحق بما يستطيع ويتيسر له من أُطُر تدريبية تأخذ بيده، لا أن ينتظر توجيه الآخرين وإرشادهم؛ فليس من أحد يحسن إدراك المنفعة أكثر من محتاجها، وليس الفاقد للشيء ـ عادة ـ بمنتظر نصيحةَ الواجد له، ولكن العجز والتواني هو السبب الظاهر والعامل القاهر، والله المرجو أن يبصر ويهدي إلى كل عمل صالح ومُرْضٍ.

---

(١) المصدر السابق بتصرف يسير.

(٢) سورة الرعد: آية ١١، والكلام منقول بتصرف من المصدر السابق: ٤٦.

ما الذي ينبغي صنعه إذاً على ضوء ذلك الكلام المتقدم؟

ينبغي على المسلم ـ والله أعلم ـ أن يجمع بين الصلاح الذاتي وبين الدعوة العملية وبين القضايا الإدارية، على وجه يتيح له أن يسير في ركاب الأنبياء والصالحين الذين ساروا هذه السيرة قبله ودرجوا على الطريق وأوضحوا معالمه، فنبينا ﷺ كان القدوة والمثل في الصلاح الذاتي، وكانت القضايا النظرية التي يدارسها المجتمع المسلم آنذاك منوطة به، فهو المؤصِّل لها والضابط، وكان ـ أيضاً ـ ﷺ القدوة العظمى في مسائل الخلطة والدعوة العملية، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصر، فقد كان النبي ﷺ يغشى القبائل، ويحضر تجمعات قريش، ويناقش المعاندين ويجادلهم بالحجة الواضحة، وحدِّث ما شئت عن دعوته اليهود والمنافقين في المدينة، ويقوم بكل واجبات الدعوة على المثال المرغوب المطلوب.

أمَّا أن تكتفي طوائف من المسلمين بالدعوة العملية وليس معهم ضوابط مؤصلة ونظريات هادية حاكمة لمسارها فهذا قصور، أو أن تكتفي طوائف من المسلمين بوضع الضوابط والنظريات المؤصلة، ثم إنها لا تبذل جهداً مكافئاً قوياً في تحقيق الخلطة العملية وغشيان المجتمعات فهذا قصور أيضاً، أو أن تأتي طائفة ثالثة بالعجب العجاب وهو الاكتفاء بنقد أهل تلك الطائفتين نقداً لا يقوم على تقدير صحيح لما يبذله أولئك، أو تصور صحيح لما يرونه ويعتقدونه، فهذا جهل بقواعد النقد والتقويم، والعجيب أن تلك الطائفة تقيم عملها الإسلامي على محاربة تلك الطائفتين وتجهيل أمرهما، وهذا ـ تقريباً ـ هو جلّ عملها.

والغريب أنه ما من جانب من جوانب الحياة تقريباً إلا والقائمون عليه يشترطون فيمن يرغب المشاركة في إدارته ـ عن طريق التوظيف ـ خبرة عملية سابقة، فلم لا يشترط ذلك في كل جوانب العمل الإسلامي التي يتاح اليوم لأكثر الناس المشاركة فيها بغير خبرة سابقة ولا تجارب كافية ولا ضوابط حاكمة.

وأشرع الآن في التفصيل بعون الله تعالى.



الفصل الأول

معنى التدريب وأهميته ووسائله وتأصيله
من الكتاب والسنة
وعمل السلف الصالح

المبحث الأول
معنى التدريب وأهميته ووسائله

المطلب الأول
معنى التدريب وأهميته

التدريب لغة: يقال: درَّب فلان فلاناً بالشيء ودرَّبه على الشيء: عَوّده ومَرّنه[(١)].

واصطلاحاً: «عبارة عن نشاط منظم يركز على الفرد لتحقيق تغير في معارفه ومهاراته وقدراته لمقابلة احتياجات محددة في الوضع الحاضر أو المستقبلي، في ضوء متطلبات العمل الذي يقوم به المرء، وفي ضوء تطلعاته المستقبلية للوظيفة التي يقوم بها في المجتمع»[(٢)].

أو هو: «مجموعة من البرامج المهتمة بالتعليم وتحسين المهارة الفنية ليؤدي المتدرب إنجازاً أفضل»[(٣)].

---

(١) «المعجم الوسيط»: د ر ب.
(٢) «حول التربية والتعليم»: ٣٩٨.
(٣) «دليل التنمية البشرية»: ١١.

أو هي مجموعة النشاطات التي تعلم المدربين وتحفزهم، وتثري قيمهم، وترتفع بمستويات تفكيرهم، وتحسن مهاراتهم القيادية والأساليب التي يتبعونها[١].

فالتدريب ـ على هذا ـ باختصار هو ارتقاء دائم، وانتقال من طور إلى طور، وهو مواكبة ومقاربة لما عليه الماهرون والأقوياء في مناهجهم القويمة وطرائقهم المستقيمة ونشاطاتهم الفاعلة.

العلاقة
بين التدريب والتنظير

أ ـ العلاقة بين التدريب العملي والتأهيل النظريّ:

التدريب أحد قسمي التأهيل؛ إذ التأهيل قسمان: نظريّ وعمليّ، وكلا القسمين مهم لا يُستغنى عنه، لكن البرامج التدريبية تفترض وجود مستوى محدد من الفهم والوعي، ومن ثَمَّ السعي للبناء عليه، فيصحُّ أن يقال إذاً: إن إلقاء المعلومات والتأكد من فهمها أمر لا بد منه قبل الشروع في التدريب، وكل تدريب غير مسبوق بإلقاء المعلومات الضرورية محكوم عليه بالقصور أو الفشل، وهذا القدر من المعلومات يحدده نوع كل نشاط أو مهارة يُراد التدريب عليها.

ب ـ العلاقة بين التدريب والتخطيط:

التخطيط سمة العصر، قد اعتني به اعتناءً ظاهراً، حتى إن المؤسسات الضخمة تخطط لخمس وعشرين سنة قادمة أو أكثر في بعض الأحيان، وتنفق بسخاء على التخطيط ومؤسساته.

---

(١) المصدر السابق، بتصرف يسير.

و«يجب أن يتميز البرنامج التدريبيّ الناجح بالاستمرارية المخطط لها بإتقان، وهذه الاستمرارية سوف تضمن ألا يصاب المتدربون بالركود، بل تكفل تزايد قدراتهم ونموها المطّرد، كما أنها ستزيل التكرار والإعادة. . . ويمكن أن يتيح الفرصة لتقويم المتدربين وتوزيعهم على المجالات المختلفة بعد إعدادهم وتأهيلهم»[١].

والتخطيط الجيد يراعي خصوصيات المشاركين مع الأخذ بالاعتبار المستوى الحالي للتعليم والقدرة على الفهم لديهم[٢].

ولا بد أن يعلم ويُدرَك أنه لا يوجد برنامج تدريبيّ موحد يمكن أن يناسب جميع المتدربين على تنوع مشاربهم واتجاهاتهم؛ إذ قد يناسب مجموعة ما ما لا يناسب الأخرى، وقد يكون المناسب لمجموعة محددة في زمن ما ليس بمناسب لها نفسها في زمن تالٍ أو سابق، وهكذا. . . وكل ذلك يراعيه التخطيط القويم والإعداد الجيد.

جـ ـ العلاقة بين التدريب والتطبيق:

هناك فجوة كبيرة بين التدريب والتطبيق في عالمنا الإسلاميّ المعاصر، إذ أن عدة عوامل تضافرت لتؤدي إلى هذا الأمر، ولا أجد مساغاً لذكرها هاهنا، فكم من متدرب على أمر بذل فيه جهده وصرف فيه زماناً طويلاً من عمره، حتى إذا تخرّج فيه واستعد لتطبيق ما مَرِن عليه إذا به يُضطر للعمل في مجال آخر، والأمثلة من عالمنا الإسلامي أكثر من أن تحصر، فهذا طبيب ماهر ذكي أعرفه درس في كلية الطب وبذل لها وقتاً ثميناً وصرف فيها خلاصة شبابه، حتى إذا فرغ من سنة

---

(١) المصدر السابق: ٢٩٢ بتصرف يسير.

(٢) المصدر السابق.

الامتياز وأقبلت عليه الوظائف أمره أبوه أمراً جازماً أن يتولى إحدى شركاته ليعمل في مجال لم يعهده من قبل، ولم يأنس في نفسه ميلاً إليه، فضُرب بعُرض الحائط كلُّ ما بذل من جهد وأنفق من وقت.

وآخر درس الهندسة النووية سنوات طويلة وتخرج فيها «دكتوراً» وحاز أعظم الشهادات الغربية، حتى إذا عاد إلى بلاده صدم بالحقيقة المرة وهي أنه لا يستطيع أن يطبق ما تدرب عليه طويلاً في بلاد الغرب، وإذا بالمعامل غير المعامل، وإذا بالعقبات توضع أمامه، هذا الذي درس زماناً طويلاً وصرف على الدراسة والتدريب زهرة شبابه وأجمل أيام حياته، إذا به يُوضع في مكتب وثير ليوقع على أوراق إدارية، أو يترأس اجتماعات لا ثمرة لها على الحقيقة.

واسألوا أساتذة الذرة المسلمين الذين رأوا أن عودتهم إلى ديارهم ستصيبهم بكثير من الإحباط ففضلوا البقاء في عسل الغرب الممزوج بالسم، على أن يعودوا إلى حنظل خالص أو بيت نحل فارغ.

واسألوا الدكاترة والمهندسين، وأصحاب الدرجات العليا من «ماجستير» و«دكتوراه» في شتى التخصُّصات العلمية والذين عملوا في وظائفَ دنيا بعد تخرجهم لا تمتُّ بصلة لما تدربوا عليه ودرسوه، فقد شاهدت «دكاترة» وحملة «ماجستير» يعملون مضيفين في شركات الطيران، وكل ما تطالب به شركات الطيران من مؤهلات دورة لمدة أربعة أسابيع مع تحصيل شهادة الكفاءة أو الثانوية بحسب الحاجة، فما الذي ساق صاحب هذا المؤهل العالي ليعمل في هذا المكان؟ وهذا ضربته مثالاً وإلا فالأمثلة كثيرة كثيرة.

وهذا الذي ذكرته منطبق على أناس كثيرين التحقوا بكليات الدعوة والشريعة وأصول الدين، ودرسوا طويلاً، ثم بعد تخرُّجِهم لم يجدوا عملاً مناسباً ليطبقوا فيه ما درسوه وما تدرَّبوا عليه نوعاً من التدريب، وهذا ملاحظ مشاهد في كثير من بلدان العالم الإسلامي لغلبة البطالة وقلة الوظائف.

أهمية التدريب:

العالم المتقدم مادياً يسعى بقوة للوصول إلى المثال المطلوب في كل جوانب الحضارة المادية، ويبذل بسخاء في سبيل هذا الأمر، ومن أهم الوسائل التي تصل بالمجتمع إلى إتقان الحضارة واستيعابها لهو التدريب الذي «يشكل مدخلاً رئيساً إلى تحسين إمكاناتنا الحالية، وتحسين أدائنا، وهو الوسيلة الفعالة في بلوغ الأهداف التي نرسمها».

إن من المجمع عليه الآن أن ما يتعلمه المرء وما يكتسبه من مهارات أهم بكثير مما ورثه عن آبائه من ذكاء وألمعية، فالتقدم العلمي الهائل وما أفرزه من وضعيات واعتبارات مختلفة جعل كل ما هو فطري ضئيلاً وقليل الجدوى في التعامل مع الأشياء والنظم المعقدة. . .

إن الحاجة إلى التدريب تنبع من اعتبارات عديدة، نذكر منها:

١ـ اكتساب معلومات جديدة:

إن المعلومات التي كانت بحوزة المدرس أو الموظف أو العامل قبل الانخراط في العمل تتآكل مع مرور الأيام، فيضيق نطاق المعرفة لديه، ويحتفظ بالحد الأدنى الذي يساعده على أداء مهمته على نحو

قاصر أو شبه مقبول. إن طول الخدمة يؤدي إلى التكرار والرتابة مما يقتل روح التجديد والاستمتاع بالعمل.

هذا وإن بإمكان التدريب أن يشعر المتدرب باكتساب معلومات ومهارات وطرق جديدة لا عهد له بها، كما أن بإمكانه أن ينعش معلومات ومعارفَ ذبلت. . . .

٢ـ التدريب طريق الارتقاء:

إن الذين لا يشعرون بالحاجة إلى التدريب هم أولئك الذين يعيشون على هامش الحياة، وكلما اقتربت الأمة من بؤرة الحياة المعاصرة شعرت أن حاجتها إلى التدريب والتطوير أشد، ولذا فمن المستغرب أن تكون أمريكا على رأس قائمة الدول المهتمة بالتدريب حيث تنفق عليه بسخاء بالغ، وتذكر بعض الإحصاءات أن أمريكا حكومة وشعباً تنفق على التدريب سنوياً ١٢٠ مليار دولار. . .

ومن اللافت للانتباه أنه كان في أمريكا عام ١٩٥٨ (٣٢) محطة تلفازية تُعنى بالتعليم والتدريب، ومعظم دولنا الإسلامية خالية من أية محطة تعليمية أو تدريبية إلى اليوم.

٣ـ التدريب طريق استيعاب التقنية الحديثة:

التطور السريع الذي يعيش فيه العالم اليوم يوجد في كل ساعة آلات جديدة ومواد جديدة، يكشف ويبيِّن قوانين ونظماً جديدة، واستيعاب كل ذلك يحتاج إلى أن يسعى الناس إلى التدريب مهما كانت المشاق أو الأكلاف. . . »[١].

---

(١) «حول التربية والتعليم»: ٣٩٨ ـ ٤٠٠ بتصرف يسير، وقد نقل المصنف من عدة مصادر ذكرها في كتابه.

٤ـ الثقة بالنفس وقدراتها وطاقاتها:

ومن جوانب أهمية التدريب القصوى أنه يكسب الشخص المتدرب ثقة في نفسه، وقوة في انطلاقته لم يكن يجدهما في نفسه من قبل؛ إذ المرء مجبول على الخوف مما يوكل إليه ويُناط به؛ ويحسب لذلك حسابات متعددة، فإن دُرِّب على ما هو مقدم عليه فإنه يزول بذلك ما يجده في نفسه من تخوف وتحسس وجهود وقصور، ويقبل راضياً سعيداً على ما كلف به من أعمال مهما عظمت أهميتها وصَعُب القيام بها.

وما قصة موسى عليه الصلاة والسلام ـ التي سأذكرها بالتفصيل إن شاء الله تعالى في ثنايا البحث ـ إلا مثالاً واضحاً على أهمية التدريب للانطلاق والتطبيق؛ حيث دربه الله تعالى على مواجهة فرعون وكيفية استعمال العصا واليد، وطمأنه كل التطمين، فانطلق واثقاً قوياً ﷺ.

٥ـ شمول التدريب لجوانب كثيرة في الحياة:

وهذه الجوانب المذكورة في الأهمية ليست قاصرة على أشياء محددة، لكنها تعم جوانب كثيرة وتشملها، فـ «نحن بحاجة لمن يعلمنا فن الحوار وفن الصمت، ومن يعلمنا الكفَّ عن الإدمان على بعض الأشياء وبعض التصرفات، كما أننا بحاجة إلى من يدربنا على إدارة الوقت وإدارة أعمالنا عن طريق الهاتف وعن طريق الأهداف وطريق التفويض، ومن يدربنا على رسم الأهداف، وعلى التخلي عن النزعات العدوانية، ومن يدربنا على حل مشكلاتنا عن طريق التفاوض ومقايضة المصالح، ومن يدربنا على القراءة المثمرة والتفكير المبدع، وحين نحرز تقدماً على هذه الأصعدة فإننا سنجد أن معالم حياتنا كلها قد

تغيرت، وصارت فرص النجاح والارتقاء أفضل بكثير مما هي عليه اليوم»[١].

باعث التدريب:

ينبغي أن يعلم أن التدريب ينبعث الشعور بأهميته من الشخص نفسه، وليس في الحقيقة مفتقراً للتوجيه ـ وإن كان التوجيه مطلوباً ـ فالمرء أعلم بنفسه وقدراته وما هو عليه من علم وفهم ومهارة، أو الضد من ذلك، فليس مقبولاً على الإطلاق أن يظل الشخص يراوح في مكانه ضعيفاً عاجزاً وهو يمكنه أن يخرج من ضعفه بتدريب مكثف في مدة زمنية معقولة مقبولة.

أعرف أحد الأئمة ممن يحبه الناس ويقبلون عليه، وله من التأثير عليهم الشيء الكبير، وهو في الوقت نفسه صاحب روحانية وعاطفة إيمانية دافقة، لكن المشكلة التي يعاني منها كل المعاناة هو أنه لا يحسن الحديث بالفصحى كما ينبغي للإمام أن يكون، وهذه مشكلته ـ والله ـ منذ قرابة عشرين سنة، فيا أيها العقلاء: هل هذا معقول أو مقبول، وهل مثل هذا الشخص يحتاج لتوجيه حتى يتدرب على تخطي ضعفه اللغويّ هذا، على أنه قد وُجِّه مراراً كثيرة، فمثل هذا لو تدرب على إتقان اللغة ستة أشهر مثلاً لتخلص من هذه المشكلة للأبد، لكن يا لله للمسلمين وعجزهم وضعفهم وعدم فهمهم أنه بتدريب يسير يتمكنون من صنع شيء كثير.

كم من الناس العقلاء من علم ضعفه وعرف علته، وانطلق يداويها

---

(١) المصدر السابق: ٤٠٣.

بأنواع من التدريبات في دورات مكثفات قويات فإذا به منطلق مِعطاء منتج، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصر، ومنها:

أعرف مديراً لمؤسسة كان يعاني من ضعف بل من جهل تام بأصول برمجة الحواسيب، وقد وظف شخصين بمبلغ كبير نسبياً من أجل إقامة العمل الحاسبيّ، ثم فطن لنفسه والتحق بدورة حاسوبية مكثفة تعلم فيها الشيء الكثير، فإذا به ليس بمحتاج إلى من وظفهما، فقام بعملهما ووفر على نفسه المال.

هذا مثال لما ينبغي أن يكون عليه العاقل في شؤونه العامة، فلماذا لا يسعى الناس في الشؤون الدعوية والإيمانية سعيَ هذا الرجل في عمله هذا الذي صنعه؟.

وهذه مؤسسة مهمة كبيرة، فيها موظفون كثر بعشرات الآلاف، ولهم إدارة تدير شؤونهم ـ كما هو شأن كل مؤسسة أخرى ـ، وفي هذه الإدارة قسم يشرف على تنسيق جداول بعض الموظفين المهمين، وعدد أولئك المشرفين قرابة مئتي موظف يشرفون على تنسيق جداول أولئك الموظفين المهمين البالغ عددهم قرابة ألف موظف، ويقسم لي بالله أحد الإخوة الثقات أن شركة كبرى في الخارج لها موظفون يماثلون في الأهمية الشريحة التي ذكرت، ويفوقونهم عدداً يشرف على تنسيق جداولهم ـ وهم ألوف مؤلفة ـ امرأة واحدة فقط بحاسوب متنقل وهاتف جوَّال. . . سبحان الله، ألا يعتبر المسؤولون في هذه الشركة بحال تلك الشركة التي استطاعت في ضوء تدريب متفوق قوي أن تختصر العدد الضخم من الموظفين إلى امرأة واحدة فقط، لكن المشكلة أنه ليس هناك باعث داخلي قوي يحملهم على القيام بمثل

هذا التدريب، أو أنهم لم ينتبهوا إلى حجم المشكلة التي يواجهونها حتى الآن، والله أعلم.

ولعل من أهم بواعث التدريب عند الشباب المسلم علمُه بما يوليه النصارى خاصة، وأعداء الإسلام كافة من اهتمام خاص بالتدريب، وذلك أمر يطول ذكره وتفصيله، ولكن حسبي أن أورد شيئاً موجزاً يكون كافياً في استقاء العبرة والعظة:

التدريب
عند النصارى

بلغ الغرب مبلغاً باهراً من الأخذ بالتدريب في كل شؤون الحياة، لكن ما حال التنصير، هل هو كذلك معتنى به تدريباً وتخطيطاً؟

إن النصارى لهم سبق واضح في هذا المجال، فهم لا يرسلون مبعوثاً من لدنهم إلى أي مكان حتى يدرِّبوه على كيفية التعامل مع من يرسل إليهم، وكيف يقيم كنيسة، وكيف يدير شؤونها، وكيف يتصل بأصحاب السلطة في البلد المرسل إليه، بل إنهم يدربون مبعوثيهم على كيفية التخاطب، ويعلمونه لغة أولئك الأقوام حتى يُحسن التعامل معهم، ويدربون مبعوثيهم على كيفية محاربة المسلمين والوقوف في وجه أنشطتهم.

إن أولئك المخططين للتنصير قد أعدوا كتباً إرشادية فيها كل الخطوات اللازمة للتحرك والعمل في أرجاء الأرض، وهي متقنة تماماً ومعدة لتكون دليلاً تدريبياً إرشادياً لكل مبعوث، وهي مطبوعة متداولة بلغات كثيرة.

قارن بين هذا وبين ما يجري عند أكثر مؤسساتنا الخيرية الإغاثية التي تكتفي بإرسال ما يسمى بالدعاة إلى بلاد عديدة أكثرهم ليس له خبرة في كيفية التعامل مع الهيئات والشعوب التي يطمع في هدايتها وتقويمها، وليس معه جدول تفصيلي يرشده إلى ما يصنع هنالك، وهذه الهيئات لم تكلف نفسها وضع دليل إرشادي مفصل يدرب الدعاة هنالك ويأخذ بأيديهم، أقصى ما هنالك أن يرسل الداعية إلى مخيم معدٍّ إعداداً جيداً مقتصراً على فئة محدودة جداً، لكن الحديث هنا عن الانفتاح على المجتمع والتأثير فيه والانتشار بين أفراده على صورة متهيأ لها متدرَّب عليها.

ولولا أن الله حافظ دينه وكتابه لما استطعنا ـ والله ـ أن نصنع شيئاً في دول إفريقيا وآسيا مقارنة بما يصنع أولئك، والله تعالى إن وكلنا إلى أنفسنا وكلنا إلى عجز وتقصير، والله المستعان.

ولا بد أن يعلم أن المرء لانشغاله بأمور الحياة ومتطلباتها، ولانهماكه في تحقيق ما يصبو إليه، قد لا يتنبه أنه في حاجة ماسة إلى تدريب يجدد له حياته، ويرفع من مهاراته وقدراته، فينبغي إذاً أمران لا غنى عنهما:

١ـ أن تقوم الهيئات الدعوية، ووزارة الشؤون الإسلامية، وكل مهتم بالعمل الإسلامي بإقامة الدورات اللازمة لتحسين العمل الإسلامي والانطلاق به إلى آفاق أرحب ومناحٍ أوسع، ويكون ذلك شبه ملزم للدعاة وطبقات المخالطين للناس أمثال الأئمة والوعاظ ورجال الحسبة.

٢ـ إن لم يكن مثل هذا الأمر فينبغي على الشخص أن يسعى ونفسه سعياً جاداً حتى يلتحق بما تيسر من دورات تدريبية حتى لو كانت في

هيئة دليل إرشادي أو كتاب تدريبي لمن لم يتوفر له الوقت المناسب أو الدورات المناسبة.

إن لم يصنع الداعية هذا فسيجد أنه على كرور الأيام ومر الزمان قد ترهلت أفكاره، وهزلت حركته، وتَفُهَت أهدافه، وصار ما يأتي به قديماً لا قيمة له تقريباً، وذلك أنه يجتر أفكاره ومشاريعه التي مضى عليها زمان طويل، ولم تَطُلْها يد التغيير والإصلاح والتقويم.

ومن جوانب زرع باعث التدريب في النفوس أن يبين أمران:

١ـ ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فبعض الأعمال الدعوية القيام بها واجب، ويصبح التدريب عليها ـ إن تطلب ذلك تدريباً ـ واجباً أيضاً، فإذا عُلم هذا فالنفوس تهرع إليه وتقوم به.

٢ـ كل الجهد المبذول في التدريب وحضور الدورات وإتعاب الجسد وإنهاكه يقابل إن شاء الله تعالى بالحسنات العظام والدرجات الفِخام، فهذا أمر معلوم من دين الإسلام، لكن إن ارتبط في الأذهان بقضية التدريب فسيقبل الناس عليه بهمة ونشاط أكبر من ذي قبل، والله أعلم.

المطلب الثاني
وسائل التدريب

إن للتدريب وسائل متعددة تعدد الأفكار والمناهج والقدرات، وهو أوسع من أن يحاط به في صفحات، ولكن ما أورده هاهنا له تعلق واضح بالتدريب على العمل الإسلامي خاصة، وهذا هو مرادي من هذه الرسالة، وقد اصطفيت عدداً من الوسائل رأيت أنها ـ إن روعيت حق المراعاة ـ كافية في بابها إن شاء الله تعالى، فمن ذلك:

أولاً: إنشاء المؤسسات الخاصة بالتدريب الدعويّ العمليّ:

ويمكن إنشاؤها في الجامعات، ومراكز الدعوة، ومراكز هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووزارة الشؤون الإسلامية، والمراكز التعاونية، ومراكز دعوة الجاليات. . . إلخ.

حيث يتولى التدريب في تلك المؤسسات علماء كبار جمعوا إلى جانب العلم الحنكة والتجربة الطويلة، فيقدمون عصارة جهدهم وخبرتهم الطويلة إلى الأجيال الجديدة.

وينبغي إلزام مَن يريد التصدر للدعوة ـ كُلٌّ في مجاله ـ بحضور دورات في تلك المؤسسات حتى تُصقل مواهبه، وينضبط عنده التلقي المقرون بالتدريب والتجربة، فيخرج إلى المجتمع وقد نضج، وارتقى

العلم النظري الذي حازه إلى سُدة العمل التطبيقي الذي هو ـ في الحقيقة ـ ثمرة العلم.

إن النصارى الضالين أنشؤوا مئات المؤسسات التي تدرب أتباعهم على الدعوة إلى باطلهم، ولا أعرف اليوم مؤسسة رسمية واحدة تدرب المسلمين على شؤون الدعوة، أقول: لا أعرف ولا أنفي الوجود إن وُجد، وهناك بعض المؤسسات التدريبية الخاصة عن بعض الجامعات سيأتي الحديث عنها قريباً إن شاء الله تعالى.

ثانياً: تضمين مناهج الجامعات والمعاهد والمدارس العليا قضايا التدريب على العمل الإسلاميّ:

إن تضمين التدريب في المناهج وجعلَه جزءاً أساسياً من المواد التي تلقى على الطالب لهو الضامن ـ بإذن الله تعالى ـ أن يخرج جيل قادر على حمل أعباء الدعوة الفعلية.

والناظر إلى خريجي الجامعات والمعاهد يجد أن قليلاً منهم يستطيع أن يتحدث ويخاطب الجمهور، أو إذا خاطبهم أن يكون مقنعاً سلسَ الأسلوب جَزل العبارة، ويجب ألا يُستعجل في إخراج الطلاب إلى المجتمع وهم ليسوا بعدُ مؤهلين للدعوة والتأثير، خاصة طلاب كليات الدعوة.

ويحضرني ثلاثة أمثلة لطيفة فيما يجب أن تكون عليه مناهج الجامعات والمعاهد في مناهجها من الجمع بين التلقي والتدريب على الدعوة والتأثير، ألا وهي:

١ـ جامعة الأزهر وكلية الدعوة فيها، حيث جاء في إحدى الجرائد تحت عنوان: كلية الدعوة وجدت الحل: ٢٠٠٠ طالب يتدربون على

الصعود على المنابر، حيث قال المحرر: الدعوة علم وموهبة وفن، وقدرة على مخاطبة الناس على قدر عقولهم، وهناك المئات الذين يملكون الإيمان ولا يجيدون توصيله، يحفظون العلم ولكنهم يرتعدون عندما يصعدون منبر رسول الله ﷺ: كلية الدعوة بجامعة الأزهر وجدت حلاً للمشكلة؛ وذلك من خلال الجمع بين الثقافة الإسلامية المشفوعة بالدراسات النفسية والاجتماعية، وبين تدريب طلاب الكلية إلى الصعود على المنبر والحديث إلى الناس.

كلية الدعوة تتخذ الآن مقرها داخل المسجد، صحيح أن طلاب العلم يلتمسونه منذ مئات السنين بجوار أعمدة الجوامع وجدران المساجد وأروقة بيوت الله، ولكن كان يتم هذا لأن المسجد هو المكان المتاح، وفي الوقت الحالي فإن الهدف الرئيسي هو تدريب الطلاب على العيش داخل بيوت الله وكسر هيبتهم من المنبر.

ثم ذكر أن عميد كلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر بيَّن أن قرابة ألفي طالب يتدربون ويدرسون بجامع الزهراء بمدينة نصر، في صحن المسجد ست قاعات للدرس، وبيَّن أن الكلية تدرب طلابها على الخطابة داخل المسجد ويجربونهم في مواقف عدة، ثم ذكر أن الداعية الناجح هو الذي يتحقق فيه ـ مع الإيمان بقضيته ـ المادة العلمية الغزيرة، ثم فنية الخطابة والقدرة على مخاطبة الناس بالكلمات والإيماءات(١).

٢ـ وهناك مثال آخر أقوى وأفضل وأعظم أثراً، ألا وهو ما صنعته جامعة الإيمان اليمنية التي استطاع القائمون عليها أن يجعلوا التدريب العمليّ على الدعوة جزءاً أساسياً من المنهج الجامعي.

---

(١) جريدة اللواء الإسلامي ٣/ ٨/ ١٤٢٠.

وإليكم معشر القراء الكرام بعض هذا المنهج الذي يدل على عناية واضحة بالتدريب العمليّ، حيث قسموه قسمين: علم يدرس وتطبيق لهذا العلم، وقد تخيرت منه أجزاء مناسبة وتركت الباقي إيثاراً للاختصار المؤدي إلى كمال العظة والادِّكار:

أهداف المناهج

أولاً: علوم الإيمان:

١ـ أن يتعلم الطالب الأدلة الموصلة إلى الإيمان ومفهومه بجميع أركانه وشعبه وحقائقه في ضوء الكتاب والسنة وآيات الله المشهودة في الكون والآفاق والنفس، وعلى ضوء فهم الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان.

٢ـ أن يتعلم الطالب مقومات الإيمان؛ فيدرس ما يتعلق بتوحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، والنبوَّات، والسمعيات (الغيبيات)، والقضاء والقدر بما يمكنه من معرفة الحق الذي أرشدت إليه النصوص واستقر عليه فهم السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان.

٣ـ أن يعي الطالب أهمية الإيمان ومقتضياته وآثاره على الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة من خلال تتبع الأسرار والحكم في نصوص الكتاب والسنة.

٤ـ أن يكتسب الطالب بصيرة في معرفة الله تعالى وصفاته معرفة تورث المحبة والخشية والتوكل والإنابة وسائر العبادات القلبية والعملية.

٥ـ أن يتبرأ الطالب من الشرك بكل صوره وأشكاله، وأن يحب في الله ويبغض في الله، بحيث تتحقق فيه الغيرة على دينه وحرماته، وعلى

أمته، وأن يكون مستعداً للتضحية في سبيل ذلك، وأن يقف في وجه أعداء الإسلام ويتصدى لمؤامراتهم.

٦ـ أن يتمكن الطالب من فهم التطبيقات السليمة للإيمان، وتقويم الفهوم الخاطئة له والتطبيقات المنحرفة، وأن يقوم بدراسة الفِرَق وتقويمها في ضوء الكتاب والسنة.

٧ـ أن يعرف الطالب نواقض الإيمان، وشروط تحققها وأخطارها وما ترتب على ذلك.

٨ ـ أن يفهم الطالب شبهات خصوم الإسلام القديمة والحديثة، وأن يكون قادراً على تفنيدها.

٩ـ أن يدرس الطالب منهج البحث في علوم الإيمان.

الصور التطبيقية:

١ـ أن يقوم الطالب بمراقبة نفسه ومحاسبتها بشأن مقدار تحققه بالإيمان عملاً وحالاً من خلال تطبيقه لشعب الإيمان يومياً حسب جدول المحاسبة الخاص به.

٢ـ أن يقوم الطالب بإعداد البحوث وإقامة المحاضرات، والمشاركة في المناظرات والأنشطة العملية الأخرى المتعلقة بالإيمان.

٣ـ أن يشارك الطالب في رحلات التفكر والنظر، وفي زيارات أكابر علماء المسلمين، والاستفادة منهم علماً وسَمْتاً وخلقاً، والتأدب معهم، وترتيب المحاضرات والندوات لهم.

٤ـ أن يقوم الطالب بإعداد اللوحات والأشرطة المسموعة والمرئية، وجمع الوثائق والصور المتعلقة بالإيمان.

٥ـ أن يقوم الطالب بزيارة القبور للاعتبار، وتذكر الآخرة.

٦ـ أن يزور الطالب المكتبات ومراكز المعلومات والبحوث للاستفادة منها.

٧ـ أن يحصر الطالب الانحرافات والأوهام المتعلقة بالإيمان، ويرسم خطة ـ بالتشاور مع مشايخه ـ للعمل على تصحيحها.

٨ ـ أن يقوم الطالب بدعوة الذين اضطرب إيمانهم لاستنقاذهم من ظلمات الشك إلى نور اليقين، ومحاجّة المصرِّين منهم لإقناعهم أو كشف أباطيلهم.

٩ـ أن يجري الطالب من التجارب العلمية ما يدعم الإيمان.

عاشراً[1]: فقه الدعوة والإعلام:

١ـ أن يفقه الطالب الآيات والأحاديث المتعلقة بالدعوة إلى الله تعالى ويحفظها.

٢ـ أن يتعلم الطالب دعوات الرسل ومناهجهم في الدعوة إلى الله تعالى للاقتداء بهم.

٣ـ أن يتعلم الطالب أصول الدعوة إلى الله ومناهجها وأساليبها ووسائلها قديماً وحديثاً، ومواقف الناس من الدعوة والدعاة.

٤ـ أن يتعلم الطالب تاريخ الدعوة والدعاة والمصلحين ومناهجهم، وتقويم دعواتهم في ضوء الكتاب والسنة؛ لأخذ العبرة، واكتساب الخبرة، مع التزام الأدب والبعد عن التجريح.

---

(١) وذلك بحسب ترتيبهم لمفردات المناهج.

٥ـ أن يتعلم الطالب صفات الداعية الناجح ويتحلى بها.

٦ـ أن يتعلم الطالب أدب الدعوة إلى الله وأدب الخلاف بين الدعاة، وحقوق الأخوة الإسلامية بين المسلمين، ووجوب التعاون على البر والتقوى فيما بينهم، وكيفية بيان الحق بالحكمة والموعظة الحسنة، والابتعاد عن التجريح والتعصب المذموم.

٧ـ أن يتعلم الطالب أصول الخطابة والمحاضرة والمناظرة والمحاورة، وكيفية تنظيم وإدارة الحلقات والندوات والمؤتمرات.

٨ ـ أن يتعلم الطالب مفهوم الإعلام المعاصر ومقوماته ونظرياته ووسائله نظرياً وتطبيقاً، وأثره على المجتمع، وكشف أساليب الإعلام المعادي للإسلام.

٩ـ أن تتكون لدى الطالب رؤية منهجية إسلامية في الإعلام تمكِّنه من استخدامه في الدعوة إلى الله.

١٠ـ في مرحلة التخصص: يتعلم الطالب نشأة وتاريخ وتطور الإعلام الإنساني عبر العصور، ويتوسع في دراسة مقومات الإعلام المعاصر ونظرياته ووسائله وتطبيقاته، والمنهج الإسلامي في الإعلام، وجهود علماء المسلمين والمختصين في ذلك، وأن يعد أبحاثاً لتطوير منهج للإعلام في الإسلام.

١١ـ أن يتخصص الطالب في أحد التخصصات الآتية: (صحافة، الإذاعة المسموعة والمرئية، علاقات عامة).

١٢ـ أن يدرس الطالب خصائص الرأي العام وطرق التأثير عليه.

الصور التطبيقية لفقه الدعوة:

١- أن يقوم بإلقاء الخطب والمواعظ وخطب الجمعة والعيدين وغيرهما.

٢- أن يخرج الطالب في رحلات فردية وجماعية للدعوة والبلاغ.

٣- أن يمارس الدعوة في أهله وعشيرته الأقربين والمجتمع.

٤- أن يستخدم الطالب وسائل البلاغ والدعوة والإعلام.

٥- أن يشارك في الندوات والمحاضرات والمحاورات والمناظرات والمؤتمرات الدعوية، وأن يسهم في إدارتها وتنظيمها.

٦- أن يشارك في الجمعيات والمؤسسات والهيئات الدعوية، وأن يقدم نماذج ومشروعات عملية لتطويرها.

٧- أن يقوم بالدعوة في صفوف غير المسلمين المقيمين في البلاد أو الزائرين لها.

٨ - أن يتابع أحوال الدعوة والدعاة في العالم ويقدم التقارير والبحوث والندوات والمحاضرات بشأن ذلك.

٩- في مرحلة التخصص: يقوم الطالب بإقامة علاقات أخوية مع جميع أصحاب الدعوات الإسلامية الداعية إلى الكتاب والسنة، وذلك عن طريق تقديم الهدايا والنصائح والمشاركة في مشروعاتهم الخيرية ومناسباتهم الاجتماعية، والعمل على التواصل وتضييق جوانب الخلاف.

١٠- في مرحلة التخصص: يقيم الطالب المحاورات والمناظرات مع أئمة الضلال وأتباعهم لدحض شبهاتهم وأباطيلهم، واستنقاذهم من الضلال.

حادي عشر: حاضر العالم الإسلامي وحركات التجديد:

أولاً: في المرحلة العامة:

١ـ أن يتعرف الطالب على جغرافية العالم الإسلامي.

٢ـ أن يتعرف على العوامل التي أدت إلى سقوط الخلافة الإسلامية وظهور الدويلات ذات النزعة القومية والشعوبية.

٣ـ أن يتعرف على الحركات الشعوبية والقومية في العالم الإسلامي وأهدافها وأسباب ظهورها وآثارها السلبية على الأفراد والمجتمعات، وارتباطها بحركة الاستعمار.

٤ـ أن يتعرف على صور وأساليب الغزو الفكري والخلقي اليهودي والصليبي والإلحادي للعالم الإسلامي عبر المؤسسات الماسونية والتنصيرية والاستشراقية والأحزاب العلمانية وغيرها.

٥ـ أن يتعرف على مظاهر التبعية السياسية والاقتصادية والتشريعية والتربوية والعسكرية والثقافية والاجتماعية للاستعمار في العالم الإسلامي.

٦ـ أن يتعرف الطالب على سبل النهوض بالأمة الإسلامية في شتى جوانب الحياة.

٧ـ أن يتعرف الطالب على أهم الاتجاهات والهيئات والحركات التجديدية الإسلامية: أهدافها، ووسائلها، وتأثيراتها.

٨ ـ أن يفهم الطالب أن وحدة المسلمين القائمة على الالتزام بالإسلام أهم سبل النهوض بالأمة الإسلامية.

٩ـ أن يتعرف الطالب على مقومات الوحدة بين المسلمين.

١٠ـ أن يفهم الطالب أن انهيار الاتحاد السوفياتي منذر بسقوط الحضارة الغربية.

ثانياً: في مرحلة التخصص:

١ـ أن يدرس الطالب جوانب التكامل الاجتماعي والاقتصادي والعلمي والعسكري في العالم الإسلامي.

٢ـ أن يدرس الطالب الحركات الهدامة المحلية والعالمية وأهدافها ووسائلها وآثارها وكيفية مواجهتها.

٣ـ أن يدرس الطالب مناهج بعض المفكرين الغربيين مقارنة بمنهج التفكير عند المسلمين.

٤ـ أن يدرس الطالب المؤامرات على الإسلام والمسلمين من خلال عدد من القضايا الملتهبة في العالم الإسلامي مثل فلسطين، البلقان، الصومال، كشمير، وغيرها، والعوامل المؤدية للنصر.

٥ـ أن يدرس الطالب أسباب انهيار الاتحاد السوفياتي وآثاره الإقليمية والعالمية وكيفية الاستفادة من مخلفاته في نهضة المسلمين.

الصور التطبيقية:

١ـ أن يتتبع الطالب أخبار المسلمين ويشارك في شرح وإيضاح واقع المسلمين؛ من خلال إقامة المعارض والندوات والمؤتمرات ونحوها.

٢ـ أن يكتب الطالب أبحاثاً نظرية وميدانية تتعلق بواقع المسلمين ومستقبلهم.

٣ـ أن يكتب الطالب مذكرات تعريفية بالشخصيات والهيئات التي تسعى لوحدة المسلمين وخدمة قضاياهم ويتعاون معهم.

٤ـ أن يدعو بالكتابة والخطابة وبأي فعاليات أخرى لإقامة هيئات إغاثة إسلامية لدعم المسلمين المحتاجين، ويشارك في أعمالها.

٥ـ أن يزور بعض المناطق الإسلامية ويتعرف على واقعها ميدانياً.

٦ـ أن يزور بعض المراكز المتخصصة في دراسة أوضاع المسلمين الحالية والمستقبلية.

٧ـ أن يشارك الطالب في الصحف والمجلات الإسلامية العالمية.

٨ ـ أن يشاهد بعض الأفلام والشرائح التي تعرف بواقع المسلمين.

٩ـ أن يقوم بنماذج عملية لشركات ومؤسسات علمية واقتصادية وصناعية وتقنية تسهم في نهضة المسلمين ورقيهم في ضوء معطيات العلوم التجريبية والأبحاث النظرية.

هذه ـ أخي القارئ الكريم ـ صورة جميلة لما ينبغي أن تكون عليه الدراسة في الجامعات الإسلامية، والدراسة ـ وإن طالت بهذا الاعتبار ـ فطولها هذا مثمر نافع، وما الذي استفدناه من مئات آلاف من المتخرجين الذين ما أفاد أكثرهم الأمة إفادة مرجوة صحيحة؟

٣ـ والمثال الثالث الذي يحمل صبغة العالمية والقوة هو: كلية الدعوة في الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد:

هذه الكلية تُعنى ببرامج التدريب عناية واضحة، وقد جاء في برنامجهم التعريفي ما يلي:

«التعليم والتدريب وظيفتان مهمتان من وظائف الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وبالتالي فإن كل معهد ومسجد ومدرسة أسس في تاريخنا كان الغرض منه أعم من مجرد إلقاء المعلومات أو ممارسة

العبادات، لكن بالإضافة إلى هذين الارتقاء بالنوع الإنسانيّ بالتدريب (التربية). . . ».

وذكر المسؤولون عن هذه الكلية أن من أغراضهم ـ في جانب التدريب ـ ما يلي:

١ـ وضع برامج تدريبية للأئمة، وقادة المجتمع وأمثالهم من أصحاب الوظائف الاجتماعية.

٢ـ وضع مناهج حديثة وطرق للدعوة وتدريب الأئمة وقادة المجتمع وغيرهم.

٣ـ الانفتاح على المجتمع، وذلك بالاعتناء بمصلي مسجد الملك فيصل القريب من الكلية، بوضع كتب أدب الأطفال، ووضع برامج انتساب للعامة، وأيضاً بالدراسات والأبحاث التي يجرونها، وغير ذلك.

ثم إنهم وضعوا برامج مفصلة لما سبق ذكره وغيره.

ومما يبدو ـ في ضوء العرض الذي عُرض ـ أن هذه الكلية لبنة جيدة في المجتمع، هذا وقد أنشئت منذ خمسة عشر عاماً، وهي مستمرة في العطاء، ومن أهدافها التعاون مع الجامعات والكليات المماثلة في العالم كله، نسأل الله لها التوفيق(١)(٢).

---

(١) PROGRESS REPORT: DA'WAH ACADEMI.

(٢) هذا مستقى من تقرير مكتوب باللغة الإنجليزية حاولت ترجمته فأثبتُّ للقراء الكرام ملخصاً لأعمال كلية الدعوة فيما يختص بالجانب التدريبي موضوع هذا الكتاب.

ثالثاً: الاستفادة من وسائل الإعلام الحديثة:

وذلك نحو الشبكات الداخلية الحاسوبية (الإنترانت) والشبكات الحاسوبية العامة (الإنترنت)، والقنوات الفضائية الإسلامية والثقافية الجادة، وقنوات الإذاعات المسموعة، فلو بثت كل تلك الوسائل المرئية والمسموعة مواد مبرمجة مرتبة عن كيفيات مختلفة متعددة للعمل الإسلاميّ بطرائق علمية مدروسة من كبار العلماء والمفكرين، لعاد ذلك بالخير العظيم على العمل الإسلامي في جميع بقاع الأرض.

إن تلك الوسائل تتميز بالانتشار الواسع مما يجعلها وسيلة جادة عملية لنقل الخبرة والتجربة إلى قطاع واسع من الجماهير المتعطشة للعمل الإسلامي العام الجادّ.

إن في أنحاء العالم كله جماهيرَ تتَحرق لتعرف كيف تدعو إلى الله تعالى، وكيف تُنشئ مؤسسات إعلامية إسلامية، وكيف تنشئ أو تساهم في إنشاء أعمال اقتصادية قائمة على مبادئ الإسلام، وهي متعطشة للمعرفة والثقافة الإسلامية الصحيحة النافعة، وهلمَّ جرّا، فكم إذاً يكون من المفيد أن نقدم لها البرامج التدريبية النافعة التي تساهم في تعميق الحس الإسلامي لديها، ومن ثم تحويله إلى قوة متمثلة في مؤسسات متعددة الأغراض تساهم في إنشاء المجتمع الإسلامي الصحيح.

إن الغفلة عن تلك الجماهير أورثت ضلالاً واضحاً في تصرفاتهم ـ وما مثال الجزائر عنا ببعيد ـ إذ لم يجدوا أمامهم إلا أفهاماً مغلوطة وفتاوى جاهلة، أوردتهم موارد كانوا في غنى عنها، وتأخر العمل الإسلامي بسبب ذلك تأخراً بيناً واضحاً.

وإذا نظرنا اليوم إلى تعطش الجمهور لما يعرض في القنوات الفضائية من بعض البرامج الناجحة قرآنية كانت أو فكرية أو ثقافية، إذا نظرنا إلى هذا الأمر علمنا الحاجة الماسة إلى إلقاء برامج على الجمهور هي أمسُّ بحاجتهم وأقرب إلى واقعهم وآمالهم.

قضايا تُراعى في التدريب

إن هناك عدداً من الاعتبارات التي يجب أن تراعى في العملية التدريبية حتى يُضمن لها النجاح، ويُرجى لها الفاعلية والقوة، فمن ذلك:

١ـ إلقاء معلومات محصورة محددة كماً ونوعاً سهلة الحفظ والتطبيق:

هذه قضية على غاية من الأهمية؛ إذ المشكلة أن المقبل على قضايا الدعوة يجد أن البون بينه وبين فهمها واستيعابها شاسع، وعندما يريد ممارستها فإنه يعجز لكثرة ما يلقى عليه منها وتنوعه وشموله.

ففي هذه الحالة يحسن به وبمن معه ويجمل أن يؤخذ هذا المقبل بقضايا محددة يُدرب عليها وعلى تحملها واكتسابها، ولعل كثيراً من الإحباط واليأس الذي قد يطرأ على الداعية المبتدئ إنما يكون بإغفال هذا الأمر المهم والقفز فوقه.

ولقد عرف أسلافنا أهمية الاقتصار على شيء محدد مفهوم بادئ الأمر والتزامه حتى يُعقل ويفهم، فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن وفد عبد القيس لما أتوا النبي ﷺ قال: «من القوم؟» أو «من الوفد؟» قالوا: ربيعة.

قال: «مرحباً بالقوم ـ أو بالوفد ـ غير خزايا ولا ندامى».

فقالوا: يا رسول الله، إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر الحرام، وبيننا وبينك هذا الحيّ من كفار مُضَر فمُرنا بأمر فَصْل نخبر به مَن وراءنا وندخل به الجنة...».

فهذا الوفد المبارك العاقل سأل النبي ﷺ أمراً محدداً فصلاً يأخذون به، فأجابهم النبي ﷺ إلى طلبهم ونبَّههم إلى بعض أصول وفروع الشريعة[١].

ولما أرسل النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن قال له:

«ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم»[٢].

فهذه أمور متدرجة تدرجاً عقلياً صحيحاً، وهي في الوقت نفسه مطالب واضحة محددة كماً ونوعاً.

٢ـ الوضوح في المهمة المطلوبة:

إن من المشكلات عند كثير من الدعاة هو عدم فهمهم للمهمة الملقاة على عاتقهم، وعدم معرفتهم بحدود مسؤولياتها في كثير من الأحيان، فتجد الشخص يريد أن يدعو إلى الله تعالى ويتحمس لذلك

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان: باب أداء الخمس من الإيمان.

(٢) الحديث مختلف في تصحيحه وتضعيفه، وقد أطال ابن القيم رحمه الله تعالى النفس في إثبات صحته، وذكر أيضاً أنه مشهور يستغني بشهرته عن طلب الإسناد له، والله أعلم. انظر: «إعلام الموقعين»: ١/ ٢٠٢ـ٢٠٣.

أشد الحماس لكنه لا يعرف كيف يبدأ ولا متى يبدأ، ولم يجد أحداً يوضح له الطريق على وجه تفصيلي دقيق.

ولما أرسل النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن لم يَرْض إلا أن يستخبر منه كيف يقضي، فقال له:

«كيف تصنع إن عرض لك قضاء؟» قال: أقضي بما في كتاب الله.

قال: «فإن لم يكن في كتاب الله؟» قال: فبسنة رسول الله ﷺ.

قال: «فإن لم يكن في سنة رسول الله ﷺ؟» قال: أجتهد رأيي، ولا آلو[١].

قال: فضرب رسول الله ﷺ صدري، ثم قال: «الحمد لله الذي وفَّق رسول رسول الله ﷺ لما يرضي رسول الله ﷺ»[٢].

فالنبي ﷺ أرسل معاذاً لمهمة محددة بعد أن علَّمه ماذا يصنع، وكيف يعمل إن عرض له أمر يقتضي منه التصرف، فهذا هو عين الحكمة وكمالها، وهو في الوقت نفسه غاية الوضوح والظهور.

أذكر أن أحد الأشخاص أراد أن يدعو إلى الله تعالى، ولما سأل أحد الدعاة الآخرين أشار عليه بأن يذهب إلى فلان الداعية فهو الذي يعرف كيف يُدعى إلى الله تعالى، ولما ذهب إلى ذلك المشار إليه أخبره أنه لا يكاد يعرف شيئاً عن تفصيلات وكيفيات الدعوة، وهكذا ظل صاحبنا في حلقة مفرغة لا يعرف كيف يخرج منها، وهو وإن قصر في البحث والتنقيب لكن تبقى مسؤولية الداعية القديم في الإرشاد والتوجيه الواضحين.

---

(١) أي: لا أقصر.

(٢) سبق تخريجه.

وآخر في جمعية خيرية طُلب منه أن يشارك في نشاطها، فلما سأل: كيف أصنع؟ قيل له: تصرف! فذكر أنه ليس عنده خبرة، فقيل له: الخبرة تُدرك بالعمل... إلى آخر هذه العبارات التي لا تغني في الحقيقة شيئاً، ولا تفيد العمل الدعويّ الخيريّ التطوعيّ في شيء، وتعود على الشخص بأسوأ الأثر إلا أن يتداركه الله برحمة منه وفضل.

وذهب داعية مبتدئ غافل عن وسائل الدعوة وطرائقها إلى داعية قديم يرجو عنده الرُّشد والدلالة، فجرى بينهما الحوار الآتي:

- أنا أعمل في دائرة كذا وأحتاج إلى مساعدة بعض الدعاة حتى نحقق ما يرضي الله عنا، ونساهم في عودة الناس إلى الله.
- الأمر سهل، ولا يحتاج إلى معونة أحد، فابذل جهدك.
- كيف وقد تكاثرت علي الأعمال ولا أجد عوناً ولا نصيراً، وأنا كذلك لا أعرف الطريقة المناسبة للدعوة، فأنا مبتدئ.
- إن لم تستطع الدعوة فاتركها في تلك الدائرة.
- لكنك تعرف من يستطيع مساعدتي، وأنا أرجو بهم أن أحقق مكاسب دعوية إيمانية ثمينة، والناس مقبلون على الخير.
- لقد أضجرتني، ما عندي إلا ما قلته لك، فإما أن تدعو منفرداً وإما أن تترك، هذا ما عندي ولا تعد إلى هذا الموضوع.

والمصيبة هاهنا أن هذا الداعية المقبل كان يرجو أن يلقى العون ممن سأله إياه، لكنه وُوجه بهذا الصدِّ فقضى على آماله ورغبته في الدعوة، وهذا إن لم يتداركه الله بفضل منه ورحمة يحصل له ما لا تُحمد عقباه.

وهذا الداعية المقصود عوض أن يدرب السائلَ أو يرشده أو يعاونه واجهه بهذا الصدِّ المنكر؛ الذي لا يغني في الحقيقة شيئاً ولا يثمر نفعاً.

المبحث الثاني
تأصيل التدريب من الكتاب والسنة
وعمل السلف الصالح

المطلب الأول
تأصيل التدريب من صنيع الله تعالى
مع أنبيائه ورسله

إن الله تبارك وتعالى أرسل رسلاً إلى أقوامهم، وأمرهم بالإنذار والتبشير، وعلم سبحانه أن هؤلاء الرسل سيواجهون شدائد ومصاعب، وسيقف الطغاة في وجوههم، وأنهم سيكونون في حاجة ماسة إلى معونة من لدنه تبارك وتعالى تساعدهم في مهمتهم الشاقة الجسيمة.

والمتأمل لصنيع الله تعالى مع أنبيائه ـ مما نقرؤه في كتاب الله تعالى أو مما نعلمه من سنة رسوله ﷺ ـ يعجب لهذا الإعداد الدقيق والتدريب العميق، ويستفيد بذلك أهمية أن يتدرب على أمور كثيرة اقتداءً بهذا الصنيع الإلهيّ العجيب؛ إذ أن هذه الأخبار التي وصلت إلينا المراد منها الاقتداء والاتعاظ، ومحاولة الاستفادة منها في واقعنا

المعاصر، مع ما يراد من سوقها إلى الناس من التعبد بها إن كانت آيات كريمات.

هذا ومن طرائق التدريب التي وقفت عليها ما يلي:

أولاً: جعلهم رعاة للغنم:

وذلك كي يسوسوا بعد ذلك أممهم كما تُساس الغنم بالصبر والجَلَد عليها:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم». فقال أصحابه: وأنت؟

قال: «نعم، كنت أرعاها على قراريط[١] لأهل مكة»[٢].

قال ابن حجر[٣] رحمه الله تعالى: «قال العلماء: الحكمة في إلهام الأنبياء من رعي الغنم قبل النبوة أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما يكلَّفونه من القيام بأمر أمتهم، ولأن في مخالطتها ما يحصل لهم الحلم والشفقة لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها في المرعى، ونقلها من مسرح إلى مسرح، ودفع عدوها من سبع وغيره كالسارق،

---

(١) القيراط: معيار في الوزن وفي القياس، اختلفت مقاديره باختلاف الأزمنة، وهو اليوم في الوزن أربع قمحات، وفي وزن الذهب خاصة ثلاث قمحات. وفي القياس جزء من أربعة وعشرين، وهو من الفدان يساوي ١٧٥ متراً: «المعجم الوسيط»: ق ر ط.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الإجارة: باب رعي الغنم على قراريط.

(٣) أحمد بن علي بن محمد، الأستاذ إمام الأئمة، أبو الفضل الكناني العسقلاني المصري الشافعي، ويعرف بابن حجر وهو لقب لبعض آبائه. ولد سنة ٧٧٣ بمصر القديمة، ونشأ بها يتيماً، وجدَّ في العلوم حتى بلغ الغاية، وله المصنفات الحسنة. ولي بعض المناصب كالقضاء والحسبة والإمامة. توفي رحمه الله تعالى بالقاهرة سنة ٨٥٢. انظر «الضوء اللامع»: ٢/ ٣٦ـ٤٠.

وعلموا اختلاف طباعها وشدة تفرقها مع ضعفها واحتياجها إلى المعاهدة، ألفوا من ذلك الصبر على الأمة، وعرفوا اختلاف طباعها وتفاوت عقولها فجبروا كسرها ورفقوا بضعيفها وأحسنوا التعاهد لها، فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل مما لو كُلفوا القيام بذلك من أول وهلة لما يحصل لهم من التدريج على ذلك برعي الغنم.

وخُصت الغنم بذلك لكونها أضعفَ من غيرها، ولأن تفرقها أكثر من تفرق الإبل والبقر لإمكان ضبط الإبل والبقر بالربط دونها[١] في العادة المألوفة، ومع أكثرية تفرقها فهي أسرع انقياداً من غيرها. . . »[٢].

ثانياً: العزلة قبل البعثة:

إن الأمور العظيمة الضخمة تحتاج إلى تهيئة وإعداد كبيرين قبل الإقدام عليها، ومن ذلك الإعداد العزلة الوقتية التي يحتاجها كل من يريد أن يجمع شتات أمره، ويحزم أمره، ويصل إلى أمر فاصل ورأي ناضج فيما يريد أن يقدم عليه.

والله تبارك وتعالى علم أن نبيه محمداً ﷺ مقدم على أمر عظيم جليل خطير، فحبَّب إليه العزلة ورغَّبه فيها، فكان يتعبد بحراء ليالي ذوات عدد، منفرداً وحيداً قبل أن يَفْجَأَه جبريل عليه السلام بالرسالة العظيمة.

قال الأستاذ سيد رحمه الله تعالى: «وكان اختياره ﷺ لهذه العزلة طرفاً من تدبير الله له ليعده لما ينتظره من الأمر العظيم. ففي هذه

(١) أي: دون الغنم.
(٢) «فتح الباري»: ١٠/ ٥ـ٦.

العزلة كان يخلو إلى نفسه، ويخلص من زحمة الحياة وشواغلها الصغيرة؛ ويفرغ لموحيات الكون، ودلائل الإبداع؛ وتسبح روحه مع روح الوجود؛ وتتعانق مع هذا الجمال وهذا الكمال؛ وتتعامل مع الحقيقة الكبرى وتمرن على التعامل معها في إدراك وفهم.

ولا بد لأي روح يراد لها أن تؤثر في واقع الحياة البشرية فتحولها وجهة أخرى لا بد لهذه الروح من خلوة وعزلة بعض الوقت، وانقطاع عن شواغل الأرض، وضجة الحياة، وهموم الناس الصغيرة التي تشغل الحياة.

لا بد من فترة للتأمل والتدبر والتعامل مع الكون الكبير وحقائقه الطليقة؛ فالاستغراق في واقع الحياة يجعل النفس تألفه وتستنيم له، فلا تحاول تغييره. أما الانخلاع منه فترة، والانعزال عنه، والحياة في طلاقة كاملة من أسر الواقع الصغير، ومن الشواغل التافهة فهو الذي يؤهل الروح الكبير لرؤية ما هو أكبر، ويدربه على الشعور بتكامل ذاته بدون حاجة إلى عرف الناس، والاستمداد من مصدر آخر غير هذا العرف الشائع!

وهكذا دبَّر الله لمحمد ﷺ وهو يعدُّه لحمل الأمانة الكبرى، وتغيير وجه الأرض، وتعديل خط التاريخ.. دبَّر له هذه العزلة قبل تكليفه بالرسالة بثلاث سنوات. ينطلق في هذه العزلة شهراً من الزمان، مع روح الوجود الطليقة، ويتدبر ما وراء الوجود من غيب مكنون، حتى يحين موعد التعامل مع هذا الغيب عندما يأذن الله»[١].

---

(١) «في ظلال القرآن»: ٦/ ٣٧٤.

وهذا موسى عليه الصلاة والسلام يأمره ربه بالاستعداد للقائه بالاعتزال أربعين يوماً.

قال الأستاذ سيد رحمه الله تعالى: «كانت فترة الإعداد ثلاثين ليلة أضيفت إليها عشر، فبلغت عدَّتها أربعين ليلة يروض موسى فيها نفسه على اللقاء الموعود، وينعزل فيها عن شواغل الأرض ليستغرق فيها في الخالق الجليل، وتصفو روحه وتستشف وتستضيء، وتتقوى عزيمته على مواجهة الموقف المرتقب وحمل الرسالة الموعودة»(١).

ثالثاً: الصلاة الطويلة الشاقة نحو قيام الليل:

إن الله تبارك وتعالى أعدَّ نبيه ﷺ للمهمات الثقيلة التي سيقبل عليها بقيام الليل والتطويل فيه، وبالتدريب على المشاق التي تخالط هذا القيام حتى يستطيع أن يواجه أعباء الدعوة بعد ذلك، وهو قد اعتاد المشاق وتدرَّب على تذليل الصعاب.

قال الأستاذ سيد رحمه الله تعالى شارحاً قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾.

قال: «قيل لرسول الله ﷺ: «قم»، فقام، وظل قائماً بعدها أكثر من عشرين عاماً! لم يسترح، ولم يسكن، ولم يعش لنفسه ولا لأهله، قام وظل قائماً على دعوة الله، يحمل على عاتقه العبء الثقيل الباهظ ولا ينوء به: عبء الأمانة الكبرى في هذه الأرض، عبء البشرية

---

(١) المصدر السابق: ٣/ ١٣٦٧.

كلها، وعبء العقيدة كلها، وعبء الكفاح والجهاد في ميادين شتى.

حمل عبء الكفاح والجهاد في ميدان الضمير البشري الغارق في أوهام الجاهلية وتصوراتها، المثقل بأثقال الأرض وجواذبها، المكبل بأوهاق الشهوات وأغلالها، حتى إذا خلص هذا الضمير في بعض صحابته مما يثقله من ركام الجاهلية والحياة الأرضية بدأ معركة أخرى في ميدان آخر، بل معارك متلاحقة مع أعداء دعوة الله المتألبين عليها وعلى المؤمنين بها، الحريصين على قتل هذه الغرسة الزكية في منبتها، قبل أن تنمو وتمد جذورها في التربة وفروعها في الفضاء، وتظلل مساحات أخرى.

ولم يكد يفرغ من معارك الجزيرة العربية حتى كانت الروم تعدّ لهذه الأمة الجديدة، وتتهيأ للبطش بها على تخومها الشمالية.

وفي أثناء هذا كله لم تكن المعركة الأولى ـ معركة الضمير ـ قد انتهت؛ فهي معركة خالدة، الشيطان صاحبها؛ وهو لا يني لحظة عن مزاولة نشاطه في أعماق الضمير الإنساني، ومحمد ﷺ قائم على دعوة الله هناك ـ وعلى المعركة الدائبة في ميادينها المتفرقة ـ في شظف من العيش والدنيا مقبلة عليه، وفي جهد وكدٍّ والمؤمنون يستروحون من حوله ظلال الأمن والراحة، وفي نصب دائم لا ينقطع، وفي صبر جميل على هذا كله، وفي قيام الليل، وفي عبادة لربه، وترتيل لقرآنه وتبتل إليه، كما أمره أن يفعل وهو يناديه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾.

وهكذا قام محمد ﷺ وهكذا عاش في المعركة الدائبة المستمرة أكثر من عشرين عاماً، لا يلهيه شأن عن شأن في خلال هذا الأمد، منذ أن سمع النداء العلوي الجليل وتلقى منه التكليف الرهيب، جزاه الله عنا وعن البشرية كلها خير الجزاء. . .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ﴾. . . إنها دعوة السماء، وصوت الكبير المتعال، قم. . قم للأمر العظيم الذي ينتظرك، والعبء الثقيل المهيأ لك، قم للجهد والنصب والكد والتعب، قم فقد مضى وقت النوم والراحة، قم فتهيأ لهذا الأمر واستعد.

وإنها لكلمة عظيمة رهيبة تنتزعه ﷺ من دفء الفراش، في البيت الهادئ والحضن الدافئ لتدفع به في الخِضمّ، بين الزعازع والأنواء، وبين الشد والجذب في ضمائر الناس وفي واقع الحياة سواء.

إن الذي يعيش لنفسه قد يعيش مستريحاً، ولكنه يعيش صغيراً ويموت صغيراً. فأما الكبير الذي يحمل هذا العبء الكبير فما له والنوم؟ وما له والراحة؟ وما له والفراش الدافئ، والعيش الهادئ؟ والمتاع المريح؟!

ولقد عرف رسول الله ﷺ حقيقة الأمر وقدّره، فقال لخديجة رضي الله عنها وهي تدعوه أن يطمئن وينام: «مضى عهد النوم يا خديجة»! أجل. . . مضى عهد النوم وما عاد منذ اليوم إلا السهر والتعب والجهاد الطويل الشاق!

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾.

إنه الإعداد للمهمة الكبرى بوسائل الإعداد الإلهية المضمونة: قيام

الليل، أكثره: أكثر من نصف الليل ودون ثلثيه، وأقله: ثلث الليل. وكان هذا الإعداد للقول الثقيل الذي سينزله الله عليه: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾.

هو هذا القرآن وما وراءه من التكليف، والقرآن في مبناه ليس ثقيلاً فهو ميسر للذكر، ولكنه ثقيل في ميزان الحق، ثقيل في أثره في القلب: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ فأنزله الله على قلب أثبت من الجبل يتلقاه..

وإن تلقي هذا الفيض من النور والمعرفة واستيعابه لثقيل، يحتاج إلى استعداد طويل.

وإن التعامل مع الحقائق الكونية الكبرى المجردة لثقيل، يحتاج إلى استعداد طويل.

وإن الاتصال بالملأ الأعلى وبروح الوجود وأرواح الخلائق الحية والجامدة على النحو الذي تهيأ لرسول الله ﷺ لثقيل، يحتاج إلى استعداد طويل.

وإن الاستقامة على هذا الأمر بلا تردُّد ولا ارتياب، ولا تلفُّت هنا أو هناك وراء الهواتف والجواذب والمعوقات لثقيل، يحتاج إلى استعداد طويل.

وإن قيام الليل والناس نيام، والانقطاع عن غَبَش الحياة اليومية وسِفْسافها؛ والاتصال بالله، وتلقي فيضه ونوره، والأنس بالوحدة معه والخلوة إليه، وترتيل القرآن والكون ساكن، وكأنما هو يتنزل من الملأ الأعلى، وتتجاوب به أرجاء الوجود في لحظة الترتيل بلا لفظ بشري ولا عبارة؛ واستقبال إشعاعاته وإيحاءاته وإيقاعاته في الليل

الساجي. . . إن هذا كله هو الزاد لاحتمال القول الثقيل، والعبء الباهظ والجهد المرير الذي ينتظر الرسول، وينتظر من يدعو بهذه الدعوة في كل جيل! وينير القلب في الطريق الشاق الطويل، ويعصمه من وسوسة الشيطان، ومن التيه في الظلمات الحافة بهذا الطريق المنير.

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾.

﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ هي ما ينشأ منه بعد العشاء؛ والآية تقول: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا﴾: أي: أجهد للبدن، ﴿وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾: أي أثبت في الخير كما قال مجاهد، فإن مغالبة هتاف النوم وجاذبية الفراش، بعد كدِّ النهار أشد وطأً وأجهد للبدن؛ ولكنها إعلان لسيطرة الروح، واستجابة لدعوة الله، وإيثار للأنس به، ومن ثَمّ فإنها أقوم قيلاً؛ لأن للذكر فيها حلاوته، وللصلاة فيها خشوعها، وللمناجاة فيها شفافيتها. وإنها لتسكب في القلب أنساً وراحة وشفافية ونوراً، قد لا يجدها في صلاة النهار وذكره، والله الذي خلق هذا القلب يعلم مداخله وأوتاره، ويعلم ما يتسرب إليه وما يوقع عليه، وأي الأوقات يكون فيها أكثر تفتحاً واستعداداً وتهيؤاً، وأي الأسباب أعلق به وأشد تأثيراً فيه.

والله سبحانه وهو يعد عبده ورسوله محمداً ﷺ ليتلقى القول الثقيل، وينهض بالعبء الجسيم اختار له قيام الليل؛ لأن ناشئة الليل هي أشد وطأً وأقوم قيلاً، ولأن له في النهار مشاغله ونشاطه الذي يستغرق كثيراً من الطاقة والالتفات. . . »[١].

وهذا الذي درب الله تعالى أنبياءه عليه صالح لأن يُدَرَّبَ عليه الدعاة والصالحون إلى آخر الزمان، فالمنهج واحد والعقبات متشابهة

---

(١) «في ظلال القرآن»: ٦/ ٣٧٤٢ـ٣٧٤٦ بتصرف.

متقاربة، وقد بين الأستاذ سيد رحمه الله تعالى هذا الأمر أحسن تبيين في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٢٥ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا﴾[١] حيث قال رحمه الله تعالى: «هذا هو الزاد، اذكر اسم ربك في الصباح والمساء، واسجد له بالليل وسبحه طويلاً، إنه الاتصال بالمصدر الذي نزل عليك القرآن وكلفك بالدعوة، هو ينبوع القوة ومصدر الزاد والمدد: الاتصال به ذكراً وعبادة ودعاءً وتسبيحاً ليلاً طويلاً، فالطريق طويل والعبء ثقيل ولا بد من الزاد الكثير والمدد الكبير، وهو هناك حيث يلتقي العبد بربه في خلوة وفي نجاء، وفي تطلع وفي أنس، تفيض منه الراحة على التعب والضنى، وتفيض منه القوة على الضعف والقلة، وحيث تنفض الروح عنها صغائر المشاعر والشواغل، وترى عظمة التكليف وضخامة الأمانة فتستصغر ما لاقت وما تلاقي من أشواك الطريق.

إن الله رحيم كلف عبده الدعوة ونزل عليه القرآن، وعرف متاعب العبء وأشواك الطريق، فلم يدع نبيه ﷺ بلا عون أو مدد، وهذا هو المدد الذي يعلم سبحانه أنه هو الزاد الحقيقي الصالح لهذه الرحلة المضنية في ذلك الطريق الشائك، وهو زاد أصحاب الدعوة إلى الله في كل أرض وفي كل جيل، فهي دعوة واحدة، ملابساتها واحدة، وموقف الباطل منها واحد، وأسباب هذا الموقف واحدة، ووسائل الباطل هي ذاتها وسائله، فلتكن وسائل الحق هي الوسائل التي علم الله أنها وسائل هذا الطريق.

---

(١) سورة الإنسان: الآيتان ٢٥ـ٢٦.

والحقيقة التي ينبغي أن يعيش فيها أصحاب الدعوة إلى الله هي هذه الحقيقة التي لقنها الله لصاحب الدعوة الأولى ﷺ، هي أن التكليف بهذه الدعوة ينزل من عند الله فهو صاحبها، وأن الحق الذي تنزلت به لا يمكن مزجه بالباطل الذي يدعو إليه الآثمون الكفار؛ فلا سبيل إلى التعاون بين حقها وباطلهم أو الالتقاء في منتصف الطريق بين القائم على الحق والقائمين على الباطل، فهما نهجان مختلفان وطريقان لا يلتقيان.

فأما حين يغلب الباطل بقوته وجمعه على قلة المؤمنين وضعفهم لحكمة يراها الله، فالصبر حتى يأتي الله بحكمه، والاستمداد من الله والاستعانة بالدعاء والتسبيح ليلاً طويلاً هي الزاد المضمون لهذا الطريق.

إنها حقيقة كبرى لا بد أن يدركها ويعيش فيها رواد هذا الطريق»[(١)].

رابعاً: التدرب على مواجهة الطغاة:

إن الله تعالى كلف رسله عليهم الصلاة والسلام الإبلاغ والإنذار، وساعدهم على هذا بمعجزات وأسعفهم بآيات بينات، ولقد أعد الله تعالى بعض أنبيائه فتدربوا على التعامل مع هذه المعجزات.

وليس أعظم ولا أدل على هذا من قصة موسى عليه الصلاة والسلام، فالله تبارك تعالى أرسله إلى أمتي القبط وبني إسرائيل، وهي مهمة صعبة ولا شك، لكن الله تعالى أعانه فدرَّبه قبل الرسالة

---

(١) «في ظلال القرآن»: ٦/ ٣٧٨٥ـ٣٧٨٦.

وأثناءها، إذ مرَّت عليه أحداث جسام قبل الرسالة صقلته وهيَّأته، ولعل أبرز ما هيَّأه الله تعالى به السنوات التي قضاها عند شعيب عليه الصلاة والسلام.

ثم إن الله تعالى اصطفاه في مشهد مهيب بطريقة لم تتكرر في عظمتها ومهابتها وقوَّتها لنبي آخر، وكان في هذا حكماً كثيرة، منها ـ والله أعلم ـ تدريبه ليواجه هيبة فرعون وصورته التي تصوَّر عليها من العظمة والطغيان.

ثم إن الله تعالى درَّبه على مواجهة فرعون تدريباً كافياً شاملاً للمهمة التي أرسله من أجلها جلَّ جلاله، والمتأمل لقصته في كتاب الله تعالى يعلم هذا، فقد قال جلَّ جلاله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾[1].

أليس إلقاؤه العصا وتحوّلها إلى حية أمام ناظريه نوعاً من التدريب على مواجهة رهبة الموقف قبل حدوثه؟! وكذلك الحال ـ أيضاً ـ في ضم موسى يدَه إلى جناحه وظهور عظيم بياضها ونورها وهو الآدم شديد السمرة ﷺ.

والله تبارك وتعالى كان قادراً على تثبيت موسى لأول وهلة، لكن من الحكم في هذا الصنيع؛ هو أن ندرك أن لله سنناً في كونه يجب احترامها والتدرب على التعامل معها.

(١) سورة طه: الآيات ١٧ـ٢٤.

ثم إن الله تعالى جرّأ نبيَّه موسى عليه الصلاة والسلام على مواجهة الطاغية وماذا يقول له وكيف يرد، فقال: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾[1].

وطمأنه تعالى بقوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[2]، ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾[3].

فهل بعد هذا التدريب تدريب؟!

خامساً: مواقف مختلفة:

ومن المواقف التدريبية في كتاب الله تعالى ـ أيضاً ـ ما علمه رسوله محمداً ﷺ من كيفية الإجابة على الأسئلة المستقبلية، فمن ذلك:

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[4].

﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٥ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[5].

---

(١) سورة النازعات: الآيتان ١٨، ١٩.

(٢) سورة طه: آية ٤٦.

(٣) سورة القصص: آية ٣٥.

(٤) سورة البقرة: آية ١٤٢.

(٥) سورة الفتح: الآيتان ١٥، ١٦.

وهذه الإجابات على هذه الأسئلة المستقبلية فيها تثبيت واطمئنان، وفيها تدريب على مواجهة المواقف الحرجة الصعبة.

ومن ذلك ما جاء في قضية داود عليه السلام، فقد أرشده الله تعالى وبيَّن له كيف يصنع الدروع حتى يتدرب عليها ويحسن صنعها، فقال جل من قائل: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ﴾[١].

والمعنى: ألنَّا له الحديد فجعلناه في يده كالعجين يصرفه كيف يشاء، من غير نار ولا ضرب مِطرَقة، وأمرناه بعمل دروع سابغات، والسَّرْد: نَسْجُ كل ما يَخْشُن ويغلظ، واستعير هنا لنظم الحديد وعمله دروعاً. ومعنى: ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ﴾ أي: اجعل حِلَقَها على مقاديرَ متناسبة، وقيل: لا تعمل الحلقات صغيرة فتضعف فلا يقوى الدرع على الدفاع، ولا كبيرة فيُنال صاحبها من خلالها. وقد علَّمه الله تعالى كيف يصنع هذه الدروع على هيئة حِلَق، وإلا فقد كانت تصنع قبل ذلك صفائح[٢]، فسردها وحَلّقها داود عليه السلام فجمعت بين الخفة والتحصين[٣].

وقيل: إن الله تعالى علَّم داود عليه السلام صنعة الدروع وما كانت تعرف قبل ذلك[٤]، ولعل على هذا يدل قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾[٥].

---

(١) سورة سبأ: آية ١٠.
(٢) انظر «روح المعاني»: ٢٢/ ١١٤-١١٥ بتصرف يسير.
(٣) المصدر السابق: ١٧/ ٧٧.
(٤) المصدر السابق: ٢٢/ ١١٥، ١١٦.
(٥) سورة الأنبياء: آية ٨٠.

المطلب الثاني
تأصيل التدريب من
السنة المطهرة

كان النبي ﷺ حريصاً على تبليغ الدين على أتمِّ وجه ـ وقد صنع بأبي هو وأمي ﷺ ـ وفي سبيل ذلك كان حريصاً على عدة أمور، منها: أن يدرب أصحابه رضي الله تعالى عنهم على أعمال متنوعة ليحسنوا قيادة الأمة بعده ﷺ.

هذا وإن هناك عدداً وافراً من المواقف التدريبية في سنة المصطفى ﷺ يظهر معها بوضوح مدى العناية الفائقة التي أولاها النبيّ ﷺ لهذه المسألة المهمة، ويظهر معها ـ أيضاً ـ عظمة هذا الدين وصلاحيته لكل زمان ومكان؛ فمن تلك المواقف:

١ـ تدريب الصحابة على الدعوة وطرائقها:

لما أرسل النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن علَّمه كيف يصنع، ودربه على الكلام مع القوم الكافرين فقال ﷺ: «ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله؛ فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد

افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم»[١].

ففي هذا الحديث تدريب لمعاذ على مواجهة أهل اليمن، وفي صحيح مسلم أنه قال له ﷺ: «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب»[٢] فوصفهم له ﷺ حتى يكون على معرفة بمن سيقدم عليهم، ولأن أهل الكتاب يُفترض أن يكونوا أكثر قبولاً للدعوة من غيرهم من الوثنيين.

هذا، وقد دربه ـ أيضاً ـ على التدرج في الدعوة، إذ لا فائدة من دعوة قوم إلى فروع وهم عن الأصول غافلون، ولا فائدة من دعوتهم إلى أصل كان غيره أولى منه وأجدر بالدعوة إليه.

٢ـ تدريب الصحابة على القضاء والفتوى:

كان النبي ﷺ يعهد إلى بعض الصحابة بالقضاء والفتوى «على أنَّا نعلم أن فتاوى الصحابة لم يكن القصد منها إلا التمرين على الاجتهاد»[٣]، وذلك لأنه ليس لأحد أن يفتي أو يقضي بحضرة رسول الله ﷺ، ولكن الغرض هو تدريب الصحابة رضي الله عنهم على شؤون القضاء والفُتيا بحضرته ﷺ.

فعن عقبةَ بنِ عامر الجهني[٤] رضي الله تعالى عنه قال: جاء

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الزكاة: باب وجوب الزكاة.
(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان: باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام والصلاة والصدقة.
(٣) «الفكر السامي»: ١/ ١٧٣.
(٤) صحابي مشهور، اختلف في كنيته على سبعة أقوال أشهرها أنه أبو حماد، ولي إمرة مصر لمعاوية رضي الله تعالى عنهما ثلاث سنين، وكان فقيهاً فاضلاً. مات في قرب الستين. انظر «التقريب»: ٣٩٥.

رسولَ الله ﷺ خصمان، فقال: «اقض بينهما»، قال: أنت أولى بذلك مني يا رسول الله، قال: «وإن كان» قال: فإذا قضيت بينهما فما لي؟ قال: «إن كنتَ قضيت بينهما فأصبت القضاء فلك عشر حسنات، وإن أنت اجتهدت فأخطأت فلك حسنة».

ومثل هذا ـ أيضاً ـ جاء عن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما[(١)].

وفي قضاء عقبة وعمرو رضي الله عنهما بين يدي رسول الله ﷺ تدريب على القضاء بحضرته وتعليم.

وعن علي رضي الله تعالى عنه قال: «بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قاضياً، فقلت: يا رسول الله، ترسلني وأنا حديث السن ولا علم لي بالقضاء؟! فقال: «إن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك، فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضينَّ حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول، فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء»، قال: فما زلت قاضياً، أو: ما شككتُ في قضاءٍ بعدُ»[(٢)].

ولا يُنسى في هذا المقام أمرُه ﷺ سعد بن معاذ أن يحكم في يهود بني قريظة بحضرته ﷺ، فلما حكم فيهم حكمه الشهير المعروف صوّب حكمه، وهذا نوع من التدريب والتعليم.

---

(١) انظر «مجمع الزوائد»: ٤/ ١٩٨، وقال عن حديث عقبة: «روى الإمام أحمد بإسناد رجاله رجال الصحيح إلى عقبة بن عامر...».

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه: كتاب القضاء: باب: كيف القضاء، وقال المنذري: أخرجه الترمذي مختصراً، وقال: حديث حسن،انظر «عون المعبود»: ٩/ ٤٩٨ـ٥٠٠، وانظر كذلك: «الفتح الرباني»: ١٥/ ٢٠٨ـ٢٠٩، ٢١٣. والحديث صحيح إن شاء الله.

٣ــ تدريب الصحابة على إدارة بعض شؤون دنياهم:

كان النبي ﷺ يدرِّب الصحابة على إدارة بعض شؤون دنياهم حتى يكتفوا ويبتعدوا عن ذلِّ الحاجة والقلة، فمن ذلك ما جاء عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن رجلاً من الأنصار أتى النبيَّ ﷺ يسأله، فقال: «أما في بيتك شيء؟».

قال: بلى، حِلْسٌ[١] نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقَعْبٌ[٢] نشرب فيه من الماء.

قال: «ائتني بهما».

قال: فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله ﷺ بيده وقال: «من يشتري هذين؟»

قال رجل: أنا آخذهما بدرهم.

قال: «من يزيد على درهم؟» مرتين أو ثلاثاً.

قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين، فأعطاهما إياه، وأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاريَّ وقال: «اشترِ بأحدهما طعاماً فانبذه[٣] إلى أهلك واشترِ بالآخر قَدُوماً[٤] فائتني به».

فأتاه به فشدَّ رسول الله ﷺ عوداً بيده، ثم قال له: «اذهب فاحتطب وبِع، ولا أرينَّك خمسة عشر يوماً»، فذهب الرجل يحتطب ويبيع،

---

(١) أي كساء غليظ يلي ظهر البعير تحت القتب، انظر «عون المعبود»: ٥/٥٣.

(٢) أي: قدح. المصدر السابق.

(٣) أي: اطرحه. المصدر السابق.

(٤) أي: فأساً. المصدر السابق.

فجاء وقد أصابَ عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوباً وببعضها طعاماً. فقال رسول الله ﷺ: «هذا خير لك من أن تجيء المسألةُ نُكتةً في وجهك[١] يوم القيامة. إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة: لذي فقر مُدْقِع[٢]، أو لذي غُرْمٍ مُفظِع[٣]، أو لذي دم موجع[٤]»[٥].

ففي هذا الحديث تعليم من النبي ﷺ وتدريب لهذا الصحابي الكريم رضي الله عنه، بل هو تعليم وتدريب لكل الأمة من بعده، وإرشاد لها إلى الأخذ بأسباب العلم والتدريب للرقي بالأمة إلى المجد والعلياء.

---

(١) أي: لها أثر كالنقطة القبيحة. المصدر السابق.

(٢) أي: شديد يفضي بصاحبه إلى الدقعاء وهي التراب. المصدر السابق.

(٣) أي: فظيع وثقيل. المصدر السابق.

(٤) أي: قتل يوجع القاتل أو أولياءه بأن تلزمهم الدية وليس عندهم ما يؤدونها به. المصدر السابق.

(٥) الحديث أخرجه الإمام أبو داود في سننه: كتاب الزكاة: باب ما تجوز فيه المسألة، وأخرجه الترمذي وقال: حسن. انظر المصدر السابق.

المطلب الثالث
تأصيل التدريب
من عمل السلف الصالح
رضي الله عنهم ومن تبعهم

قد كان للصحابة رضي الله تعالى عنهم ومن بعدهم من صدر هذه الأمة أعمال في التدريب على شؤون العمل الإسلاميّ، وتبعهم على ذلك جماعات من الخلف كانت لهم أياد بيضاء في هذا الباب، فمن تلك النماذج:

١ـ تدريب عمر أبا موسى الأشعري رضي الله عنهما وشريحاً على القضاء:

هذا عمر رضي الله تعالى عنه يدرب شريحاً[١] على القضاء قائلاً: «اقض بما استبان لك من كتاب الله، فإن لم تعلم كل كتاب الله فاقض بما استبان لك من قضاء رسول الله ﷺ، فإن لم تعلم كل أقضية رسول الله ﷺ فاقض بما استبان لك من أئمة المهتدين، فإن لم تعلم

(١) شريح بن الحارث بن قيس الكوفي النَّخَعي القاضي، أبو أمية. ثقة، مخضرم، وقيل: له صحبة. مات قبل الثمانين أو بعدها، وله مئة وثماني سنين أو أكثر. يقال: حكم ـ أي قضى ـ سبعين سنة. انظر «تقريب التهذيب»: ٢٦٥.

كل ما قضت به أئمة المهتدين فاجتهد رأيك، واستشر أهل العلم والصلاح»[١].

وفي تفصيل أطول وتدريب أوسع بيّن عمر لأبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنهما أصول القضاء، فكان فيما قاله له: «. . . آسِ الناس في مجلسك وفي وجهك وقضائك حتى لا يطمع شريف في حَيْفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك، البينة على المدعي واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحلَّ حراماً أو حرّم حلالاً، ومن ادَّعى حقاً غائباً أو بينة فاضرب له أمداً ينتهي إليه، فإن بيّنه أعطيته بحقه، وإن أعجزه ذلك استحللت عليه القضية، فإن ذلك هو أبلغ في العذر وأجلى للعماء، ولا يمنعنك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه رأيك فهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق، فإنّ الحق قديم لا يُبطله شيء، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل، والمسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجرَّباً عليه شهادة الزور أو مجلوداً في حد، أو ظنيناً في ولاء أو قرابة، فإن الله تعالى تولى من العباد السرائر، وستر عليهم الحدود إلا بالبينات والأيمان.

ثم الفهمَ الفهمَ فيما أدلى إليك مما ورد عليك مما ليس في قرآن ولا سنة، ثم قايس الأمور عند ذلك، واعرف الأمثال[٢] ثم اعمد فيما ترى إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق، وإياك والغضب والقلق والضجر والتأذي بالناس والتنكر عند الخصومة. . . فإن القضاء في مواطن الحق مما يوجب الله به الأجر. . .»[٣].

---

(١) «إعلام الموقعين»: ١/ ٢٠٤.
(٢) أي: المتماثلات.
(٣) المصدر السابق: ١/ ٨٥ ـ ٨٦.

٢ـ تدريب عمر رضي الله تعالى عنه الناس على القوة والاخشيشان:

قد كانت حال الفاروق معروفة في هذا الباب، لكنه لم يكتف بحاله، بل أراد حمل الناس على أن يكونوا أقوياء فيهم خشونة الرجال وقوتهم، فها هو يقول لأهل الشام: «ائتزروا وارتدوا[(١)]، وانتعلوا وألقوا الخفاف، وارموا الأغراض[(٢)]، وألقوا الرُّكُب وانزوا نزواً على الخيل[(٣)]، وعليكم بالمَعَدِّيَّة[(٤)]، ودعوا التنعم وزي العجم. . .».

وقال أيضاً لأهل حمص: «علِّموا أولادكم الرماية والفروسية والسباحة. . . وتمعددوا[(٤)]، واخشوشنوا، واستقبلوا حر الشمس بوجوهكم، وارموا الأغراض، وانزوا على الخيل نزواً»[(٥)].

٣ـ التدريب على قراءة القرآن العظيم:

كان جبريل ينزل بالقرآن العظيم على النبي ﷺ فيتعلم منه كيفية نطقه وتجويده، ثم إن النبي ﷺ علَّم الصحابة كيفية نطق القرآن العظيم وتجويده، وجهد الصحابة رضي الله تعالى عنهم في تعليم التابعين وتدريبهم على كيفية نطق القرآن العظيم وتجويده، وكان عدد منهم رضي الله تعالى عنهم قد تفرَّغوا لهذه المهمة الجليلة، منهم: الفاروق عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وغيرهم رضي الله تعالى عنهم، وأخذ عنهم التابعون وأقرؤوا تابعيهم. . وهلمَّ جرّا.

---

(١) أي: البسوا الإزار والرداء.

(٢) أي: تدربوا على إصابة الهدف.

(٣) أي: لا تستعينوا بشيء على ركوب الخيل بل اقفزوا عليها قفزاً.

(٤) نسبة إلى معدِّ بن عدنان وكان خشناً.

(٥) «أثر الإسلام في تكوين الشخصية الجهادية»: ١٠٢ـ١٠٣. وقد نقل المصنف عن عيون الأخبار لابن قتيبة.

وهذا أبو الدرداء[١] رضي الله تعالى عنه، كانت له طريقة فريدة يعلِّم بها الناس القرآن، وذلك بجامع دمشق، فكان إذا صلَّى الفجر اجتمع الناس للقراءة عليه، فكان يجعلهم عشرة عشرة، وعلى كل عشرة عريف، ويقف هو في المحراب يرمقهم ببصره، فإذا غلط أحدهم رجع على عريفه، فإذا غلط عريفهم رجع إلى أبي الدرداء فسأله عن ذلك.

وكان عدة من يقرأ في المسجد ألفاً وستمئة ونيفاً، فإذا أحكم واحد منهم القراءة ترك عريفَه وقرأ على أبي الدرداء[٢].

فهذه الطريقة الفريدة في التدريب على قراءة القرآن العظيم مما يحسن ذكره هاهنا في التأصيل؛ لأهمية التدريب وبيان أخذ أسلافنا به على وجه حسن.

٤ ـ التدرب على قضايا علمية منوعة:

ثم إنه كان في سلف هذه الأمة وخلفها رجال عظماء وعلماء كبراء حرصوا على أن يكون لهم تلاميذ، يقتفون أثرهم من بعدهم، وينسجون على منوالهم، فعلَّموهم ودرَّبوهم، وهذا مأثور معروف، فقد كان لأبي حنيفة رحمه الله تعالى أصحاب يتعلَّمون منه ويتدرَّبون، وكذلك كان للإمام مالك والشافعي وأحمد، وكثير غيرهم من أئمة الهدى ورؤوس الرشاد.

---

(١) عويمر بن زيد الأنصاري الخزرجي، حكيم هذه الأمة، وأحد الذين جمعوا القرآن حفظاً على عهد النبي ﷺ بلا خلاف. ولي قضاء دمشق، وكان من العلماء الحكماء. توفي سنة ٣٢ رضي الله عنه. انظر «غاية النهاية»: ١/٦٠٦ـ٦٠٧.

(٢) المصدر السابق.

وعلى هذا درج السلف والخلف، وظهر ما يسمى بالمعيد، وهو الذي تدرَّب على إعادة الدرس بعد الشيخ للطلبة، وبرزت المدارس الفقهية الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية، وهي ـ على الحقيقة ـ حلقات علم وتدريب على أصول المذهب وكيفية الاستنباط بموجب تلك الأصول، وكان المشايخ يدربون طلابهم على الاستنباط والتصنيف، وكانوا يشجعونهم على مناقشة الآراء الفقهية بجرأة وقوة؛ حتى تتكون عند أولئك الطلاب الملكات الفقهية المهمة.

وهناك بعض العلوم لا تفهم إلا بالتدريب والمشافهة كالتجويد والقراءات، وأصول الفقه والمنطق والفلسفة، وقد كان التدريب علامة بارزة في هذه الحقول العلمية، وقد ذكر بعض الأئمة في بعض كتبهم جوانب من التطبيقات والتدريبات على بعض مطلوبات الشارع الحكيم في جانب الزهد والرقائق، منها ـ على سبيل المثال ـ التدريب على التأثر بقراءة القرآن الكريم، فقد قال الإمام النووي[(١)] مدرِّباً على البكاء والتأثر عند قراءة القرآن: «وطريقة تحصيل البكاء أن يتأمل ما يقرأ من التهديد والوعيد الشديد والمواثيق والعهود، ثم يفكر في تقصيره فيها، فإن لم يحضره عند ذلك حزن وبكاء؛ فليبك على فقد ذلك، فإنه من المصائب»[(٢)].

---

(١) يحيى بن شرف بن مُرِّي، الإمام المشهور. توفي سنة ٦٧٦ عن ٤٤ سنة رحمه الله تعالى . له عدد من المصنفات النافعة، وقد كان على حال من المجاهدة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس لها نظير. انظر ترجمته في «وفيات الأعيان»: ٤/ ٢٦٤ ـ ٢٦٨.

(٢) «أسس في الدعوة ووسائل نشرها»: نقلاً عن المجموع ٤٧، شرح المهذب»: ٢/ ١٧٩.

نماذج
من المربِّين المدرِّبين

١ـ قال الأستاذ عبد البديع صقر، رحمه الله تعالى:

«عرفنا في مصر شيخاً ممن يُقتدى بهم، كان من عادته أن يلتقي بتلاميذه من الشباب في رحلات تستمر يوماً أو بعض يوم، فإن لم يتيسر ذلك فهي لقاءات داخل المدينة.

يصلي بهم صلاة طويلة مطمئنة يقرأ فيها من طوال المفصَّل من آيات القرآن، ثم يقدمهم تباعاً للإمامة، يدرِّبهم تدريباً ويزرع فيهم الثقة بأنفسهم، ويضطرهم ـ من بَعْدُ ـ للحفظ والتجويد، ويتناولون طعاماً مشتركاً، وأثناء تناول الطعام يذكر لهم ما ورد عن رسول الله ﷺ في آداب الطعام والشراب.

ويقوم وإياهم بتدريبات رياضية، يذكرهم خلالها بما ورد في آداب الرمي والسباق والقوة والجهاد.

يجلس معهم جلسات روحية للذكر والتدبر وتلاوة القرآن، تتخللها ـ أحياناً ـ القصص المشوقة والحكايات اللطيفة، ويغلب فيها التأثر والبكاء من خشية الله ـ أحياناً ـ حتى ترقَّ القلوب.

ويدعوهم لقيام الليل بالعبادة فرادى أو جماعات، ويكون هو أسبقهم لذلك.

ويدربهم على أساليب الخطابة والدعوة مع نقد متبادل للخطباء بعضهم لبعض؛ حتى يفك عقدة ألسنتهم، ويعطيهم الخطوة الأولى لتصدر الجماهير»[١].

٢ـ الإمام حسن البنا رحمه الله تعالى:

كان من ميزات هذا الإمام المجدد الكثيرة أنه مُربٍّ مدرِّب، وفي حياته مواقف كثيرة من التدريب العمليّ، لكني سأورد بعضها مكتفياً بها عن البعض الآخر:

كان يجتمع ببعض إخوانه فيخرج بهم إلى مكان حدده لهم، فيحدثهم في شؤون الدعوة، ويصلُّون خلفه المغرب والعشاء، ويتناولون سوياً طعاماً خفيفاً، ويتذاكرون ويتسامرون قليلاً، وبعد صلاة العشاء بقليل ينامون على الأرض في حجرة واسعة، ثم يستيقظون قبل الفجر بساعتين فيتوضؤون، ويتهجدون بعض ركعات فرادى، ثم يتلو عليهم جزءاً من القرآن العظيم متحلقين، ثم يلقي عليهم الأستاذ الإمام درساً في التكوين النفسيّ والإيمانيّ والعلميّ للداعية، وكيفية التجنب لمواطن الزلل في التاريخ القديم والمعاصر، ثم يترك وقتاً قبل الفجر للاستغفار، ثم بعد أداء الصلاة ينصرف بهم إلى تفسير بعض آيات من القرآن العظيم، وثم إذا سمح المكان لتأدية بعض أنواع الرياضات أدَّوها، ثم ينصرفون[٢].

وهذا الأمر يتكرر مرة أو مرتين كل شهر، هذا عدا عن صيام يوم أو

---

(١) «كيف ندعو الناس»: ١٢٤ـ١٢٥.

(٢) «الإخوان المسلمون في ميزان الحق»: ١٩١ـ١٩٢.

يومين كل أسبوع، والإفطار سوياً؛ حتى تتعمق معاني الإيمان والأخوة[١].

أليست هذه الطريقة المذكورة هنا، والطريقة التي ذكرها الأستاذ عبد البديع صقر قبلها أجدىٰ على الداعية، وأَعْوَدَ بالنفع عليه من عشرات المحاضرات في قيام الليل وتربية النفس؟ بلى والله، وإن هذا التدريب يحمل النفس على التجرد والثبات والتضحية، ويحملها على تحمل تبعات الدعوة.

وقد كان له في باب التدريب على الدعوة يدٌ طولى، وما سطره بيده خير شاهد على هذا إذ قال: «فكرت أن أدعو إلى تكوين فئة من الطلاب الأزهريين وطلاب دار العلوم للتدريب على الوعظ والإرشاد في المساجد ثم في القهاوي والمجتمعات العامة، ثم تكوين جماعة منهم تنتشر في القرى والريف والمدن الهامة لنشر الدعوة الإسلامية، وقرنت القول بالعمل، فدعوت لفيفاً من الأصدقاء للمشاركة في هذا المشروع الجليل... كنا نجتمع في مساكن الطلاب في مسجد شيخون بالصليبة ونتذاكر جلال هذه المهمة وما تستلزمه من استعداد علميّ وعمليّ، وخصصت جزءاً من كتبي كالإحياء للغزالي وبعض كتب المناقب والسيَر لتكون مكتبة دورية خاصة بهؤلاء الإخوان، يستعيرون أجزاءها، ويحضِّرون موضوع الخطب والمحاضرات منها.

وجاء الدور العمليّ بعد هذا الاستعداد العلميّ، فعرضت عليهم أن نخرج للوعظ في القهاوي، فاستغربوا ذلك وعجبوا منه وقالوا: إن أصحاب القهاوي لا يسمحون بذلك ويعارضون لأنه يعطل أشغالهم،

---

(١) «كبرى الحركات الإسلامية»: ٤٤.

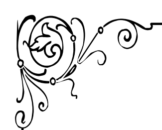
وإن جمهور الجالسين على هذه المقاهي قوم منصرفون إلى ما هم فيه، وليس أثقل من الوعظ، فكيف نتحدث في الدين والأخلاق لقوم لا يفكرون إلا في اللهو الذي انصرفوا إليه؟ وكنت أخالفهم في هذه النظرة، وأعتقد أن هذا الجمهور أكثر استعداداً لسماع العظات من أي جمهور آخر، من جمهور المسجد نفسه؛ لأن هذا شيء طريف وجديد عليه، والعبرة بحسن اختيار الموضوع، فلا نتعرض لما يجرح شعورهم، وبطريقة العرض[1] فنعرض بأسلوب شائق جذاب، وبالوقت فلا يطيل عليهم القول.

وقد بدأ هذا الفريق بتجربته، وأخذوا بزيارة بعض المقاهي، ولقد كان شعور السامعين عجيباً، وكانوا ينصتون في إصغاء ويستمعون في شوق، ونحن سعداء بهذا النجاح»[2].

وقد ألقى الإمام أكثر من عشرين خطبة في مقاهٍ متعددة، استغرقت كل واحدة منها ٥ ـ ١٠ دقائق، ثم استمر هو ومن معه على هذا العمل برهة من الزمان[3].

وواضح أن الحاجة للدعوة بالمقاهي كانت بسبب انصراف الشباب عن المساجد آنذاك، وعكوفهم على المقاهي والملاهي، أما اليوم فقد تبدل الحال، والحمد لله، ولم يعد للوعاظ حاجة لهذا الأسلوب إلا نادراً.

(١) أي: والعبرة بطريقة العرض.
(٢) «الاحتساب في دعوة الإمام حسن البنا»: ١٠٤.
(٣) «كبرى الحركات الإسلامية». ٣٦.



الفصل الثاني

عرض لبعض طرائق التدريب

في بعض القضايا المهمة

مدخل

إن التدريب يشمل أموراً كثيرة أعظم من أن تحصر في كتاب أو يتحدث عنها في عجالة كهذه؛ إذ قلَّما أمر يهم المسلم في شؤون الدعوة إلا وهو محتاج فيه إلى تدريب، لكني سأتخيَّر نواحي محددة أرى ـ والله تعالى أعلم ـ أنها ألصق بالحاجة من غيرها وأنها مجالات يقصِّر الدعاة فيها ـ أو أكثرهم ـ تقصيراً بيناً، لا لسبب إلا أنهم لم يدربوا أنفسهم على خوض غمارها والتوسع في تناولها، وسأذكرها ذكراً لا يتناولها تفصيلاً، إذ هذا الكتاب لا يحتمل هذا التوسع، لكني سأركز على التدريب أكثر من التوسع في الجانب النظريّ.

التدريب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب إسلاميّ متفق عليه، لكن كيف يؤدى هذا الواجب؟ ومتى يقدم المرء على النصح ومتى يُحجم؟ وما هي قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ إلى آخر هذه الأسئلة التي تتعلق بهذا الأمر المهم.

والذي يعنى به هذا المبحث هو التدريب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإيجاد هذا الباعث في نفوس الصالحين؛ وذلك لأن جمهرة غالبة من الدعاة والصالحين قد قصروا في هذا الباب، وتركوه حتى صار بينهم وبينه نُفرة طبيعية، لا لشيء إلا لأن كل متروك مهجور يكون بينه وبين النفس الإنسانية نُفرة ووحشة.

ولقد كثرت المصنفات في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستقر في النفوس وجوبه وأهميته، لكن كيف يؤمر وينهى؟ ولقد درس هذا الموضوعَ طلابٌ كثر في المعاهد الدراسية وفي غيرها، ولكن التطبيق أمر آخر؛ إن الطبيب يدرس ست سنوات لكن لا يسمح له بمزاولة المهنة إلا بعد سنة امتياز سابعة يدرَّب فيها على أيدي أطباء مهرة، وبعد ذلك يمنح الشهادة بأنه أهل وحائز للمهارة المطلوبة، وقس على ذلك المهندسين والفنيين..

فكيف يتخلف عن هذا الأمر المهم ـ وهو التدريب العملي ـ الطلبة الدارسون لقواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ ولا بد أن يعلم أن التدريب مهم غاية الأهمية في هذا الباب؛ لأنه يكفل عدم الغلو والشطط أو التساهل، ويكفل التقليل من الأخطاء العملية في هذا الباب، وفي الوقت نفسه يحفظ الداعية من اليأس والإحباط اللذين قد ينتجان من نفرة المدعو أو خشونته أو غير ذلك، أو ينتجان من رؤية الداعية كثرة المنكرات وقلة حيلته وضعفه في هذا الباب.

الخطوات العملية في هذا الباب:

١ـ مصاحبة داعية بصير مجرب، والتلقي على يديه كيفية تطبيق قواعد الأمر والنهي بدون تساهل ولا غلو؛ فقد كان عدد من السلف يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر في رجال صالحين، تخيروهم على عينهم، وارتضوهم في هذا الباب، منهم هشام بن حكيم بن حزام(١) رضي الله عنهما حيث كان يأمر بالمعروف في رجال معه(٢)، ومنهم عبد الرحيم بن محمد العَلْثي البغدادي(٣) الذي كان شيخ بغداد في وقته ومن أجلِّ علماء الحديث، وكان ملتزماً بالسنة زاهداً، وكان له أتباع وأصحاب يقومون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(٤).

---

(١) صحابي ابن صحابي رضي الله عنهما، قرشيّ أسديّ. مات قبل أبيه. انظر «التقريب»: ٥٧٢.

(٢) «أثر الجماعات الإسلامية» ١٦٤ نقلاً عن «تهذيب التهذيب».

(٣) عبد الرحيم بن محمد بن أحمد، أبو محمد بن الزجّاج، عفيف الدين العَلْثي ثم البغدادي الحنبلي الأثريّ. ولد سنة ٦١٢، وتوفي سنة٦٨٥، وسمع من جماعة، وكان محدثاً عالماً ورعاً: انظر: «الوافي بالوفيات»: ١٨/ ٣٩٢.

(٤) «أثر الجماعات الإسلامية»: ١٦٤ نقلاً عن «ذيل طبقات الحنابلة».

٢ـ مصاحبة رجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في جولاتهم الدعوية، والاستفادة مما عندهم من خير كثير في هذا الباب، ويمكن أن يتمَّ هذا بتنسيق محدد في زمان الإجازات ونحوها، ويمكن أن يكون هذا التنسيق بالتوظف في الهيئة لمدة زمنية محددة تطوعاً واحتساباً، وهذه فرصة حسنة؛ إذ لا أعلم بلداً في الدنيا فيها هيئات للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ على هذا النحو الذي هو عليه ـ إلا في هذا البلد المبارك.

٣ـ إنشاء معهد خاص للتدريب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإشراف على تطبيق هذه الشعيرة المباركة على أيدي علماء شجعان أقوياء مجربين بصيرين؛ فإن هذه الأمة بحاجة ماسة إلى مثل هذه المؤسسات الدعوية المهمة.

٤ـ التدرب على الصبر على الإيذاء النفسيّ والجسديّ، وطريق المرء إلى هذا هو تفهم وتدبر هذه الآية الكريمة ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[1]، وأيضاً معرفة سير الأنبياء والصالحين قبله وكيف أوذوا وصبروا.

٥ـ التدرب على الشجاعة ومحاولة اكتساب ما يمكن اكتسابه من هذه الصفة المهمة، والطريق إلى التطبع بهذه الصفة والتزود منها تدبر هذه الآية ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾[2] وأمثالها من الآيات، وقراءة سير الشجعان والأبطال، فإن هذا يعود على المرء بفائدة كبيرة.

---

(١) سورة العنكبوت: الآيتان٢ ، ٣.

(٢) سورة التوبة: آية٥١.

٦ـ الاطلاع على سير الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر من الأنبياء والصالحين، فإن هذا يقوي المرء ويشجعه ويكسبه استهانة بعواقب الأمر والنهي التي يقف دونها أكثر الدعاة والصالحين وتؤثر فيهم أيما تأثير، فهذا الإمام العالم الحافظ العابد تقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي ثم الدمشقي الحنبليّ، كان عجباً في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ كان «لا يرى منكراً إلا غيَّره بيده أو بلسانه، وكان لا تأخذه في الله لومة لائم»، ورآه أحد الصالحين وهو يريق خمراً، فجذب صاحب الخمر السيف فلم يخف الحافظ منه بل أخذه من يده، وكان قوياً في بدنه، وكثيراً ما كان بدمشق ينكر ويكسر آلات اللهو.

و«كان بعض أولاد صلاح الدين قد عملت لهم طنابير[1] وكانوا في بستان يشربون، فلقي الحافظ الطنابير فكسرها» وقال الحافظ عن هذه الحادثة: «فلما كنت أنا وعبد الهادي عند حمام كافور إذا قوم كثير معهم عصيّ فخففت المشي وجعلت أقول: حسبي الله ونعم الوكيل، فلما صرت على الجسر لحقوا صاحبي فقال: أنا ما كسرت لكم شيئاً هذا هو الذي كسر، فإذا فارس يركض فترجَّل وقبَّل يدي وقال: الصبيان ما عرفوك» وكان قد وضع الله له هيبة في النفوس إلى أشياء من هذا القبيل تراجع في سيرته»[2].

فبمثل هذه الأخبار والقصص يتشجع المتردد الخائف، ويقبل ويتوكل ويحتسب.

---

(١) جمع طُنبور وهو العود.

(٢) «نزهة الفضلاء»: ١٦٤٦/٤ـ ١٦٤٧. هذا وقد ولد الحافظ سنة ٥٤١ وتوفي سنة ٦٠٠، وقد أصابته ابتلاءات في حياته، وامتحن مرات، وله مصنفات حسنة رحمه الله تعالى.

٧ـ زجُّ النفس وانغماسها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خير الوسائل للتدرب عليه، والخطأ وارد ومقبول من المبتدئ، وقد قيل للبنا رحمه الله تعالى: «نريد أن تعلمنا الخطابة وفنون الدعوة، فأجاب قائلاً: سيروا في القرى وطرقات الأرياف مرة في اليابس ومرة في الطين، وخالطوا هذا الشعب المؤمن، وعندها يفتح الله عليكم وهو الفتاح العليم»[١].

٨ ـ التدرج في التطبيق مع البصيرة النافذة والحكمة والموعظة الحسنة؛ فإن هذا من شأنه أن يرسخ عبادة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في النفوس.

بهذه القواعد التدريبية العملية وأمثالها يتدرب الدعاة عملياً على هذه العبادة الواجبة والشعيرة الربانية الثابتة، وينكسر الحاجز النفسيّ الذي حال بينهم وبينها سنوات طوالاً، ويشعرون أثناء أداء هذه العبادة بلذة إيمانية رائعة، ويرفعون عن الأمة إثم فرض الكفاية هذا، والله أعلم.

(١) «١٢ عاماً مع الأستاذ البنا»: ٣٣.

التدريب على مواجهة المواقف الحرجة

الحياة المعاصرة مليئة بالمواقف الحرجة التي يجب أن تواجَه على نحو يساعد على تخطِّيها والتخلص منها، والشخص الذي يعيش حياته بلا تخطيط معرض لتلك المواقف، وينبغي إعداد النفس وتدريبها عليها.

ومثال على تلك المواقف: رجل صالح يدخل المسجد يوم الجمعة وقد غاب الإمام فتتعلق به الأنظار، ويرغب إليه أن يؤدي الجمعة، فماذا هو صانع؟ إن أحجم عيب عليه ذلك الإحجام، وإن أقدم على غير استعداد عيب عليه ذلك الإقدام.

وقد حضرت ـ وأنا طفل صغير ـ موقفاً مشابهاً في إحدى المساجد الكبرى التي لها فضل في الإسلام، وذلك وقت صلاة الجمعة حيث غاب الإمام، وصار الناس يكلف بعضهم بعضاً بالإمامة، فصعد المنبر ـ بعد لأي ـ أحد «الدكاترة» الشرعيين، فلم يستطع أن يؤدي الخطبة على وجه مقبول وأُرْتج عليه تماماً، فعجبت من حال ذلك الذي بلغ في العلم النظريّ مبلغاً حسناً، ثم هو لا يستطيع القيام بمهمة يسيرة نسبياً.

ومثال آخر: شخص عهد إليه بكتابة مقال أو بحث، ولم يسبق له أن صنع ذلك الصنيع قبل ذلك، وقد يكون الذي عهد إليه فِعلَ ذلك

مديره في المدرسة أو أستاذه أو مدير الشركة أو المصنع، ونحو ذلك مما لا يملك له رداً ولا صرفاً، فماذا يصنع؟

إن هذه المواقف وأمثالها تحتاج إلى إعداد نفسيّ وذهنيّ، وتصميم على تجاوز ذلك الموقف، فيجدر بالشخص ـ خاصة الصالح الداعية ـ أن يعدَّ نفسه دوماً لمواجهة تلك المواقف وأمثالها بالتدريب والتهيؤ.

وهناك طريقتان للتدرب على مواجهة المواقف الحرجة:

الطريقة الأولى تكون باجتماع عدد من الدعاة، والطريقة الأخرى يكون الداعية منفرداً فيها بنفسه، ولعل الطريقتين تكمل الواحدة منهما الأخرى.

الطريقة الأولى:

وهي طريقة عملية لطيفة لإعداد النفس حتى تعتاد المواقف الحرجة وتتجاوزها، وليس بالإمكان توقع موقف بعينه، لكن يمكن أن يتدرب الداعية على مواجهة مواقف يظن أنها جامعة لغيرها، وتندرج تحتها باقي المواقف، وهذه الطريقة تتلخص في أن يجتمع أشخاص ـ وليكونوا ستة ـ مثلاً ـ في حي أو مدرسة أو جامعة أو غير ذلك، ثم إنهم يتناوبون في تكليف بعضهم بعضاً بمواقف محرجة صعبة، فيكلَّف واحد منهم بأن يقوم فيتحدث في عشر دقائق ـ مثلاً ـ عن موضوع يلقى عليه، ويكلف الآخر بأن يخطب كخطبة الجمعة بكل شروطها وسننها وآدابها لمدة ربع ساعة مثلاً، ويكلَّف ثالث بتصنيف رسالة في موضوع محدَّد، ويُعطى وقتاً محدَّداً لإنجازها، ويطلب من رابع الذهاب إلى سوق محدّد والقيام بمهمة النصح والإرشاد، ثم العودة وتلاوة النتائج

على الآخرين، ويكلَّف خامس بتدريس مادة محددة لباقي الأفراد، ثم يطلب من الآخرين نقده وتبيين أخطائه.

ثم تجتمع تلك المجموعة كرَّات ومرَّات، ويعاد التكليف بالتكاليف السابقة لأشخاص مختلفين، مع مزج ذلك بأفكار جديدة، وبتكرار هذا ونحوه يعتاد الشخص المتدرب على مواجهة العديد من المواقف الصعبة؛ مما يسهِّل عليه تجاوز أمثال تلك المواقف مستقبلاً.

ولابد أن يراعى في أفراد المجموعة التجانس والإخاء والمودة، ويمكن لهم أن يستعينوا ببعض الكتب والأشخاص حتى تسهل عليهم مهمتهم، والله تعالى أعلم.

الطريقة الأخرى:

وهي أن يعد الداعية نفسه لمواجهة المواقف الحرجة إعداداً منفرداً، وذلك بأن يقرأ تجارب من سبقه، وأن يفكر فيما يمكن أن يقابله من مواقف محرجة في دعوته، وما يمكن أن يفاجئه ولم يفكر فيه من قبل أو يحسب له حساباً.

ومن لطيف ما قرأته في هذا الباب أن الأستاذ الداعية عبد البديع صقر رحمه الله كان قد أعد أسئلة، قدّر أنها قد تواجه كل داعية وكل محاضر مخالط للناس، ويبدو أنه سردها بعد أن اصطفاها من الأسئلة التي وجهت له ولأمثاله من الدعاة، ثم إنه لم يكتف بذلك بل قام بالإجابة عليها إجابة نموذجية ـ فيما يظن ـ حتى يذهب من نفوس الدعاة والمحاضرين هيبة مواجهة الأسئلة التي لم يعدوا لها جواباً من قبل، وهذه الأسئلة والأجوبة متنوعة في عدة مجالات: الشرعية، والسياسية، والدعوية.

ثم إنه بعد فراغه من الأسئلة والأجوبة أورد بعض القضايا التي هي مثار شبهات وقام بالإجابة عليها، وذلك نحو الجهاد، والاكتفاء بالأخذ من القرآن الكريم، وتقسيم الدين إلى باطن وظاهر، إلخ...[١]

نحو هذا المسلك المبتكر يربي في الدعاة الثقة بالنفس، ويدربهم على مواجهة الناس بحصيلة جيدة واقعية من الفهم الشرعي والثقافة الإسلامية، ولعل من أجمل ما يُعد به الداعية نفسه في كلتا الطريقتين المذكورتين آنفاً أن يقرأ كتب الذكريات التي كتبها دعاة فطاحل، وُوجهوا بمواقف صعبة وابتلاءات كثيرة، فإن هذه القراءة من أحسن ما يطبع في نفس القارئ القدرة على مواجهة المواقف الصعبة المماثلة؛ التي قد يقدَر عليه أن يواجهها، والله تعالى أعلم.

(١) «كيف ندعو الناس» : ١٣٣ إلى آخر الكتاب .

التدريب على الإلقاء

ليس على جماهير الصالحين ـ اليوم ـ أصعب من إلقاء المواعظ على الناس في الخطب وغيرها، أو الحديث المباشر المؤثر.

ويتهرب جمهرة صالحة من الناس من هذا كل التهرب بدعوى عدم القدرة، والعجيب أنهم لا يبذلون وسعهم لإصلاح هذا العيب؛ فهذا خلف بن هشام(١) ـ أحد أئمة علماء السلف ـ يقول: أشكل علي باب من النحو فأنفقت فيه ثمانين ألف درهم حتى أتقنته(٢)، سبحان الله العظيم! ما أرفع هممهم وما أحسنها، واليوم لا يحتاج مريد تخطي الضعف والعجز إلا أن يشحذ همته، ويتوكل على الله في إصلاح ضعفه.

وإليك ـ أخي القارئ الكريم ـ صورة مقترحة للتدرب على الخطابة والإلقاء:

١ـ لا بد من الإلمام والفهم لبعض قواعد النحو الأساسية مثل ركني الجملة الاسمية: المبتدأ والخبر، وركني الجملة الفعلية: الفعل

---

(١) خلف بن هشام بن ثعلب البغدادي البزّار المقرئ، الإمام الحافظ، الحجة، شيخ الإسلام. له اختيار في الحروف صحيح ثابت لا يكاد يخرج فيه عن القراءات السبع. وأخذ عنه خلق لا يحصون، فكان يبدأ بأهل القرآن ثم يأذن لأصحاب الحديث. وكان عابداً فاضلاً، ورعاً. توفي سنة ٢٢٩ وقد شارف الثمانين. انظر «سير أعلام النبلاء»: ١٠/ ٥٧٦ ـ ٥٨٠.

(٢) المصدر السابق: ١٠/ ٥٧٨.

والفاعل، ولا بد من معرفة أن المفعول منصوب والبدل والصفة تابعان للمبدل منه وللموصوف، وأن المعطوف له حكم المعطوف عليه، وهكذا . . .

٢ـ اجتماع عدد محدود من الأشخاص وليكن ستة مثلاً، وليجعلوا عليهم رئيساً هو أفضلهم حديثاً وأحسنهم إلقاءً، وهو حسن الحديث والإلقاء فعلاً، ويكون من مهمته قيادة هذه المجموعة حتى يدرِّبها على حسن الحديث والإلقاء.

٣ـ يعهد مسؤول هذه المجموعة لأفرادها بتحضير موضوعات معينة ليقوموا بإلقائها أمام بعضهم بعضاً، ثم بعد الفراغ من كل موضوع يطلب مسؤول المجموعة من أفراده أن ينقدوا الموضوع المطروح من وجهين اثنين:

أحدهما: الموضوع الملقى ذاته.

والآخر: نقد طريقة الإلقاء، ويجب أن يكون هذا النقد شاملاً لكل الجوانب التي تقبل النقد مثل: عناصر الموضوع، وشمول الطرح، ودرجة صوت الملقي قوة وضعفاً، ومدى جاذبية الموضوع لدى الحاضرين، ومدى تفاعلهم معه، والأخطاء النحوية. . . إلى آخر وجوه النقد المعروفة.

٤ـ عند تأكد مسؤول المجموعة من إحسان أفرادهم وإتقانهم لإلقاء الموضوعات المقترحة سلفاً، فإنه ينتقل بهم إلى مرتبة أعلى وهي مفاجأتهم بموضوعات لم يحضِّروها، والطلب منهم أن يتحدث كل منهم عن موضوع يختاره هو لهم لمدة عشر دقائق مثلاً، ثم ينقد بعضهم بعضاً فيما تحدثوا فيه، ولقد ذكرت وجوهاً من النقد في الفقرة السابقة.

٥ـ ثم ينتقل مسؤول هذه المجموعة بأفراده إلى المرتبة الأعلى، وهي الطلب المفاجئ منهم أن يقوم أحدهم بإلقاء خطبة جمعة في موضوع يختاره هو، ثم بعد الفراغ من الخطبة يقوم أفراد المجموعة بنقد طريقة إلقاء الخطبة وموضوعها، كما بينت في الفقرة السابقة.

وفي أثناء هذا التدريب الطويل نسبياً ـ إذ قد يستغرق عاماً أو أكثر ـ يتعهد المسؤول أفراده بكل مفيد ونافع من الكتب والمقالات في الموضوعات الشرعية والثقافية بشقَّيها الإسلامي والإنسانيّ؛ وذلك ليكون لكل فرد من المجموعة حصيلة كافية تؤهله للخطابة والحديث المؤثرين النافعين.

بهذه الطريقة وأمثالها من طرائق التدريب يمكن لمجموعة من الصالحين أن يصبحوا دعاة مؤثرين نافعين، بشرط أن تتعدد مرات اللقاء على وجه كافٍ مرضٍ لا أن يطول الانقطاع.

وإن لم تتيسر طريقة الاجتماع هذه فيمكن التدرب على انفراد، وذلك بأن يعد الداعية الموضوع الذي يريد إلقاءه أو الخطبة، ثم ينفرد بنفسه ويقوم بإلقائها كاملة متخيلاً الناس أمامه، ويعيد الكرة مرة بعد الأخرى حتى يتقن الإلقاء، ثم يخرج إلى الناس وقد أعدَّ نفسه للقائهم، وروي عن بعض خطباء العرب الأوائل فعلُ هذا.

هذا الذي ذكرته إنما هو تصور عام للتدريب الأولي على الخطابة، وبقيت تفصيلات وجزئيات لا يحتملها هذا المقام، إنما يرجع فيها إلى الكتب التي تخصصت في طرح طرق الخطابة وتفصيلاتها، والله أعلم.

التدريب على الاستفادة من الإنترنت[(١)]

من أعظم الوسائل التي فتح الله بها على عقول البشر هذه الشبكة العالمية للحاسوب والمسماة الإنترنت، فقد أصبحت الإنترنت من أكثر الوسائل تأثيراً في حياة مستخدميها، ومستقبلها القريب يقدمها كوسيلة مؤهلة لمنافسة كثير من وسائل الاتصال الأخرى، بل يذهب البعض إلى تصويرها على أنها الوسيلة المؤهلة لتكون وسيلة الاتصال السائدة بين البشر في المستقبل، فتقوم بدور الهاتف والفاكس والصحيفة والمجلة والإذاعة والتلفاز.

ولعل ما يؤهل الإنترنت لذلك مزاياها المتعددة التي منها:

١ـ السرعة الهائلة في تناقل المعلومات، فبمجرد وضع معلومة على الإنترنت تصل إلى الجهة المرسلة إليها في زمن لا يكاد يتجاوز الثواني.

٢ـ تجاوز حواجز المكان، فيمكن لكل من ارتبط أو اتصل بالإنترنت أن يصل إلى أيّ معلومة حيثما كانت على وجه الأرض، دون تأثر بالمسافة الجغرافية الفاصلة بينه وبين المعلومة.

---

(١) كتب هذا المبحث الأخ في الله تعالى عيضة سالم باكور المتخصص في هذا الشأن، وقد أثبته بتصرف، وأضفت إليه صفحتين سأحددهما في ثنايا المبحث.

٣ـ الجمهور الضخم الذي يوجه له الخطاب وتتاح له المعلومة، وآخر الإحصائيات تذكر أن عدد مستخدمي الإنترنت في العالم يتجاوز ١٢٠ مليوناً.

٤ـ إتاحة المعلومات للناس في أي زمان ومكان، وذلك لعدم انحصار الزوار والباحثين في وقت محدد، بل ساعات اليوم وجميع أيام الأسبوع وكل شهور العام متاحة للباحثين، فهي فرصة ضخمة للاتصال بالناس ونشر الخبر بينهم دون التزام بأوقات دوام أو ساعات بثٍّ.

٥ـ انخفاض تكلفة الاتصال، فبثمن يصل إلى ثمن المكالمة الهاتفية يمكنك الاتصال بالإنترنت، والاستفادة من كل ما بها من معلومات مجانية.

٦ـ انخفاض تكلفة النشر والتعديل والتحديث، فبتكاليف زهيدة تستطيع أن تحصل على فرصة نشر المواد التي ترغب في نشرها على الإنترنت.

٧ـ الكم الهائل من المعلومات المتاحة التي تتراوح بين المعلومات المجانية، أو المعلومات المدفوعة الأجر؛ التي يمكن الوصول إليها لقاء مبالغ يسيرة.

٨ ـ سهولة التفاعل معها؛ وذلك من خلال مراسلة القائمين عليها، أو العاملين على المواقع؛ التي تناسب اهتمامات المستخدم للشبكة.

فمن خلال الاستقراء السريع للمزايا السابق ذكرها، نشعر بأهمية استخدام الإنترنت في خدمة الدعوة إلى الله.

الاتصال بالإنترنت

ماذا تحتاج لتستخدم الإنترنت:

حتى تشرع في استخدام الإنترنت فأنت بحاجة إلى الآتي:

١ـ جهاز حاسوب، وهنالك مواصفات عديدة، إلا أننا ننصح أن لا تقل عن المواصفات التالية التي ليست خاصة بماركة معينة أو شركة بذاتها:

المعالج Processor	Pentium III 400
الذاكرة R A M	64 M B
القرص الثابت Hard disk	8 G B
كرت الشاشة Display Card	8 M B
مشغل أقراص مدمجة CD ROM	40 X
كرت الصوت Sound Card	64 bit
جهاز الاتصال بالإنترنت Modem	56 Kb/ S

٢ـ خط هاتفي.

٣ـ اشتراك لدى أحد مزودي خدمة الإنترنت في بلدك.

ما هي أشهر مصطلحات الإنترنت؟

أشهر المصطلحات التي تستخدم في الشبكة التي قد يحتاجها الداعية خلال تعامله مع الإنترنت نجملها في الجدول التالي:

المصطلح	الشرح
شبكة النسيج العالمي WWW	وهي شبكة المواقع الموجودة على الإنترنت التي يمكن أن يستعرضها كل زائر.
موقع على الشبكة	كل موقع على الشبكة يعتبر وكأنه محطة بث تعمل على مدار الساعة، وحتى تستطيع تلقي هذا البث كل ما يجب عليك هو كتابة عنوان الموقع الذي عادة ما يكون على الشكل الآتي: Htt: //WWW. Al- islam. Com وتحتوي الشبكة حالياً أعداداً مهولة من المواقع تتجاوز المليون موقع، منها الغث ومنها السمين، ومنها المفيد ومنها المضر، وبعضها قد لا يتجاوز الصفحة، وبعضها يصل إلى مئات الآلاف من الصفحات.
البريد الإلكتروني	هو وسيلة التراسل والتحاور بين المشتركين في الشبكة، ويمكن لكل مستخدم لهذا البريد أن يقوم بالتراسل مع بقية المشتركين في هذا البريد بسرعة فائقة وبتكلفة لا تذكر.
مجموعات النقاش	عبارة عن مجموعات من مستخدمي الشبكة تتحاور في قضايا تتشارك في الاهتمام بها، ويصل إلى جميع المشتركين فيها أي إضافة يضيفها أحد الأعضاء، كما يمكن أحياناً أن تُحفظ هذه المشاركات على شكل صفحات في إحدى المواقع ويستطيع مستخدمو الشبكة زيارتها والاطلاع على محتوياتها.

وعموماً لا يمكننا هنا أن نقدِّم تصوراً أكثر تفصيلاً حول بقية خدمات الشبكة، ولكن يمكن للراغب في الاستزادة الرجوع إلى الكتب المتخصصة في هذا المجال.

البرامج التي تحتاج أن تستخدمها:

إن أكثر البرامج التي ستحتاج أن تستخدمها على الإنترنت هي:

- برنامج مستعرض لصفحات الإنترنت.
- برنامج إرسال واستقبال البريد الإلكتروني.

وهي برامج مجانية، كما أنها تدعم اللغة العربية، وبعضها يعمل بواجهة عمل عربية، ومن أجل إتقان هذه البرامج يمكن للداعية الاستعانة بأحد أصدقائه أو معارفه ممن له خبرة فيها، ولو استطاع التركيز فيها قليلاً فإنه يستطيع الوصول إلى إتقان استخدامها، وقد يكون من المفيد أخذ دورة مركزة في هذين البرنامجين، إلا أنها قد لا تكون مفيدة لو لم تتوفر إمكانية تطبيق ما تعلمه في هذه الدورة.

استخدامات الداعية للإنترنت:

إن من أفضل ما يمكن أن يقوم به الداعية على الإنترنت المساهمة في الجوانب الآتية:

الإنترنت كمصدر للمعلومات:

لربما يتمنى الداعية لو كانت هناك مكتبة بها كل ما يحتاجه من كتب ومراجع ومصادر يمكنه الرجوع إليها في أي وقت ومن أي مكان، وكم سيكون من الجميل والرائع أن يتمكن الداعية وهو يعدُّ درسه من الرجوع إلى كتاب الله وتفاسيره وأحاديث رسول الله ﷺ وسواها من أمهات الكتب في شتى العلوم، وهذه الصورة رغم ما يبدو بها من رؤية حالمة هي أقرب إلى الحقيقة حالياً، فبإمكان الداعية أن يجد الكثير من المعلومات المتاحة على الإنترنت، وهي تتزايد بسرعة كبيرة وأرقام متضاعفة، والمعلومات الموجودة على الإنترنت لا تقتصر على مجال

العلوم الشرعية فقط، بل إن كثيراً من العلوم الأخرى بدأت تجد طريقها إلى الشبكة، ولئن كانت أكثر المعلومات الموجودة حالياً هي باللغة الإنجليزية؛ فإن اللغة العربية تشهد نمواً ملحوظاً في كمية المعلومات الموجودة بها على الإنترنت.

ولا نستبعد أن تبدأ قريباً كثير من المؤسسات العلمية والتدريبية في استخدام الإنترنت كوسيلة لتقديم التدريب لجمهور الناس، بحيث يستطيع المشارك في الدورة أو الصف الدراسيّ أن يحضُر جميع محاضراته دون أن يغادر منزله، وفي الوقت الذي يناسبه.

ومن أمثلة المواقع المفيدة في هذا المجال المواقع التالية:

الموقع	عنوانه
موقع شركة حرف على الإنترنت	WWW. Al - islam.com عرض النص القرآني بالرسم العثماني، والضبط الكامل مع التلاوة بصوت الحصري والحذيفي، وعرض تفسير القرآن من أهم كتب التفاسير.
موقع وزارة الأوقاف السعودية	WWW. islam. Org. sa/ يوفر معلومات إسلامية قيمة وخدمات الاستفتاء، كما يقدم معلومات منوعة عن المملكة العربية السعودية ووزارة الأوقاف.
موقع خدمة الإسلام على الإنترنت	WWW. islam-online. Com موقع ضخم متكامل، ويتناول العديد من المواضيع الإسلامية المهمة وبلغات مختلفة، ويعرض خدماتها بطريقة سهلة وميسرة.
دليل المواقع الإسلامية	WWW. islamdir. Net دليلك الموضوعي إلى المواقع الإسلامية المنتشرة على الشبكة، يتميز الدليل بأنه يعمل باللغتين العربية والإنجليزية ويوفر الاستعراض بالموضوع أو البحث بالكلمة.

كما توجد أيضاً بعض دور النشر التي قامت بوضع كتبها ومنشوراتها على الإنترنت، ويمكن لزائر هذه المواقع الاطِّلاع على إصدارات هذه المكتبات، ومراسلة القائمين عليها للشراء منها مباشرة.

الاستخدام الفعَّال للإنترنت:

تتميز الإنترنت بسهولة وسرعة التفاعل معها، حيث يمكن لزائر أي موقع من مواقع الإنترنت أن يتفاعل مع الموقع سلباً أو إيجاباً في نفس اللحظة، فيترك رسالة ثناء ومدح للقائمين عليه وما لمسه فيه من خير وجهد، أو يرسل إليهم رسالة نصح وتنبيه على ما لمسه فيه من خطأ وعيوب.

وهذا مجال رحب وواسع لفعل الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث يمكن للداعية أن يشجع أصحاب الخير لعلهم يزيدون فيه، وينبه من لديهم خطأ أو فساد عسى أن يقصروا عنه.

كما يستطيع الداعية أن يوجه دعوة إلى كل من يعرفه من المشتركين على الشبكة ليقوموا بزيارة مواقع بعينها، قد تكون تقدم خدمة مميزة وتحقق خيراً كثيراً.

ومن المهم هنا الإشارة إلى إمكانية المشاركة في بعض الساحات المخصصة للحوارات على الشبكة حول مواضيع مختلفة، وذلك للمساهمة في توجيه زوار هذه الساحات وروادها إلى الخير والتنبيه والرد على كل خطأ[١].

وقد ذكر أحد الباحثين وسائل للتدريب على نشر الخير ومواجهة

(١) أضفت بعد هذا الموضع كلاماً سأذكر موضع نهايته، إن شاء الله تعالى.

المواقع الهدامة في الإنترنت، وبيَّن أهميتها في دفع الشرور والمفاسد أو تقليلها، فقال:

«١ـ إغراق شبكات الإنترنت بالمواقع التي تقدم الإسلام الصحيح عقيدةً وفقهاً وحركة، وباللغة الإنجليزية التي هي لغة أكثر من ثمانين بالمئة من مشتركي الإنترنت، ولا يكفي التركيز على نوعية المواد وتصميم المواقع وحدهما، فعلى الرغم من أهميتهما إلا أن من يستخدم الإنترنت يدرك حقيقة أنه كلما زاد عدد مواقعك على «الإنترنت» زادت هيمنتك وسيطرتك على المواقع الأخرى الأقل منها عدداً.

٢ـ تسويق المواقع الجديدة والدعاية لها من خلال إدخالها في محركات البحث أو Searching engines، وهو أسلوب معروف لدى أصحاب المواقع الإلكترونية، ويكون ذلك مقابل مبالغ زهيدة تدفع مرة واحدة فقط.

وكلما كان اسم الموقع وعنوانه ومحتواه مُدخلاً في محركات بحث أكثر زاد عدد الزائرين لهذا الموقع.

٣ـ ضرورة تضمين هذه المواقع عناوين لتلقي ملاحظات الزائرين واستفساراتهم، وعدم الاستخفاف بتلك الملاحظات، والرد على الاستفسارات بصدر واسع مهما كانت، والتحلي بأدب الدعوة وأخلاق الدعاة عند مراسلة الآخرين، مهما كانوا، فأنت لا تعرفهم ولا تعرف نواياهم، وقد يكونون من المهتمين فعلاً بمعرفة دينك وعقيدتك.

٤ـ لا بد من قيام المؤسسات الإسلامية كالأزهر الشريف ورابطة العالم الإسلاميّ والجامعات والهيئات الإسلامية الأخرى في مختلف مناطق العالم بإنشاء مواقع لها، وربطها مع المواقع الأخرى بغية تطوير

الاتصال فيما بينها، وتنظيم الحملات الإعلامية المضادة، فإذا ما ظهر موقع معاد يكون من السهل إعلام الجميع به، وشن حملة موحَّدة وقوية ضدَّه للضغط عليه، ووقف بثِّه للمواد المعادية.

٥ـ إذا توافرت آلية الاتصال بين المواقع الإسلامية المختلفة يمكن للمشتركين المسلمين إعلان الحرب على المواقع الهدامة والمغرضة بأسلوب الجيش المنظم الموحَّد، فلو أرسل مليون مشترك مسلم ومن المتعاطفين معهم رسائل احتجاج لأي موقع من تلك المواقع، وفي وقت واحد، لكان حجم الضرر الذي سيلحق بالموقع المعادي كبيراً، لأنه لن يتمكن من مجرد استقبال تلك الرسائل في وقت واحد فضلاً عن التعامل معها، مما سيضطره إلى إعادة التفكير في المواد التي يعرضها ضد الإسلام والمسلمين.

٦ـ ضرورة أن ينشر المسلمون في مواقعهم معلومات عن العقائد والملل والنحل الأخرى، وكثير منها موجود على شبكة الإنترنت مع إدخال تلك المحتويات في محركات البحث، فالذي يبحث عن معلومات عن اليهودية ـ مثلاً ـ سيفاجأ بوجود مواقع إسلامية تتحدث عن اليهودية من وجهة نظرها، وبذلك لا تنفرد المواقع اليهودية بزائريها، ويحصل هؤلاء الزائرون على وجهة نظر أخرى عن الديانة اليهودية، وهكذا مع بقية الأديان والملل الأخرى»[١].

وهذا الذي ذكره كلا الباحثين جيد، ويمكن الإضافة عليه ـ تمثيلاً ـ ما يلي:

---

(١) «مواجهة المواقع الهدامة»: مقال للأستاذ محمود الخطيب في مجلة «المجتمع» عدد ١٣٠٩ تاريخ: ٢٧/٣/١٤١٩.

أ ـ عرض سير حياة الشخصيات الإسلامية المؤثرة، ابتداءً من النبي ﷺ وصحابته الكرام ومن بعدهم إلى زماننا المعاصر، فعرض سيرة من ذكرت تأكيد لصورة الإسلام الشامل المتوازن المعطاء.

ب ـ عرض صور على سماحة الإسلام وحسن معاملة المسلمين لأهل الملل المختلفة والحضارات المتنوعة.

جـ ـ بيان أثر الحضارة الإسلامية المهم في الحفاظ على أهم ما في الحضارات السابقة عليه والإضافة التي أضافها عليها، ومن المعلوم أنه لولا الحضارة الإسلامية لما وصل الغرب لما هو عليه اليوم.

د ـ الإيضاح الشامل لكل الناس أن الإسلام يتعرض لحملات ظالمة، وتشكيكات مغرضة؛ حتى تستقيم صورة الإسلام الصحيح في الأذهان.

بهذا وأمثاله أرجو أن تتحقق الاستفادة من «الإنترنت» وسيلةً صحيحة للدعوة إلى الإسلام بجانب الاستفادة منه في جوانب الترفيه المباح والتعليم المفيد، والله المستعان[1].

المساهمة في زيادة الخير:

وذلك من خلال الإضافة والإغناء لمحتوى الشبكة بمواضيع، وموادَّ وجوانب قد يكون هناك حاجة ماسَّة لها، ومن أمثلة ذلك:

١ـ كتابة بعض المقالات والإضافات التي يمكن أن تفيد المسلمين عموماً، وإرسالها إلى القائمين على المواقع الإسلامية على الإنترنت، فقد يتحمس الكثير منهم لإضافتها ضمن موقعه.

---

(١) وهنا ينتهي ما أضفته من كلام.

٢ـ مراسلة بعض المواقع الإسلامية الموجودة على الإنترنت، وعرض التعاون معهم من خلال الكتابة أو الإشراف على المحتوى أو المراجعة، وسواها من وسائل التعاون.

٣ـ تقديم المقترحات لأصحاب المواقع الجيدة لعلها تساعدهم على تطوير مواقعهم.

٤ـ التعاون مع بعض الأصدقاء والإخوان لبناء مواقع تخدم جوانب إسلامية غير مخدومة في الشبكة[١].

محاذير:

رغم ما في الإنترنت من محاسن ومزايا، إلا أنه مثل كل وسيلة أخرى فيه محاذير كثيرة، نذكر منها ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ المحاذير الآتية:

١ـ احتراق الأوقات:

مستخدم الإنترنت لا يكاد يشعر بالوقت، وما لم يكن له هدف محدد ووقت ينضبط به؛ فإنه سيصرف الساعات يتنقل بين المواقع دون أن يحصل على فائدة تذكر، أو هدف ينجز.

٢ـ فقدان الخصوصيات:

رغم ما في الإنترنت من ظواهر الخصوصية حيث يتنقل على الإنترنت وهو في مكان خالٍ مع جهازه، إلا أن هناك الكثير من العابثين المستخدمين للشبكة الذين لا همَّ لهم إلا العبث في

---

(١) ومثال هذا ما أضفته آنفاً.

خصوصيات الآخرين، فقد تفاجأ بأحدهم قد اقتحم جهازك وعبث في محتوياته وأنت لا تشعر بذلك، وقد يتسبب من حيث لا تدري في إتلاف كل ما قد تكون بذلتَ الأوقات الطويلة في كتابته وجمعه من بحوث ومقالات، وللحماية من ذلك لا بد من تثبيت بعض برامج الحماية، واستشارة بعض الزملاء والأصدقاء ممن لهم خبرة في هذا المجال.

٣ـ التساهل مع الذنوب:

إن المتعامل مع الإنترنت لا يسلم من أن يمرَّ به مشهد أو منظر لا يرضاه، وفي مثل هذه الحال يجب عليه أن يتصرف التصرف الشرعي المناسب، وأن لا يتنازل في هذا، فهذه أول درجات المعاصي التي قد تتلف القلوب.

رغم وجود ملاحظات أخرى إلا أننا نكتفي بهذه الملاحظات، تجنباً للإطالة، وحتى لا ندخل في تصنيفات تقنية قد لا تكون معروفة لدى القارئ.

التدريب على الاستفادة من الأوقات

قد كان لكثير من الباحثين كتابات ومشاركات كثيرة في تبيين أهمية الوقت والمحافظة عليه، وليس من غرض هذا البحث أن يتوسَّع في ذكر هذه المسألة، لكن هناك جوانب تستحق أن تذكر في باب التدريب على الاستفادة من الأوقات، فمن ذلك:

١ـ التدريب على الاستفادة من الوقت الضائع المهدر:

يهدر كثير من الناس ساعات كل يوم وليلة وهم لا يشعرون، إذ ينشغلون بأحداث قد تكون تافهة بالمقارنة مع أحداث أخرى أكثر أهمية، فمشاهدة التلفاز مثلاً تضيع على كثير من الناس أوقات ثمينات، فبعض الناس يقضي ٣ ساعات يومياً في مشاهدته، أي لو عاش ٦٠ عاماً فإنه يضيع عليه ٧سنوات ونصف تقريباً، فكيف إذا أمضى ٦ ساعات كل يوم لمشاهدة التلفاز، فإنه يكون قد أهدر ١٥ سنة من عمره، وهكذا . . .

قد يقال: إن هذا الذي ذكرت هو حال الفارغين، نعم. . لكنه مثال وضع للمقارنة، لكن كم يضيع من أوقات الصالحين، فهذا ينتظر الطائرة لمدة ساعات ثم إنه لا تكاد تجده مستفيداً من وقته هذا كما ينبغي، وآخر يتابع مباريات الكرة فيهدر ساعات طوالاً كل أسبوع في

هذا الأمر الذي هو ـ في أقلِّ أحواله ـ لغو لا فائدة فيه، وكم من الصالحين من هو في عمل مفضول وتارك للفاضل، وهكذا . .

وإذا كان الوقت المحدد للعمل الوظيفيّ كل يوم هو ٨ ساعات فإن كل نصف ساعة يهدرها الشخص كل يوم تساوي ٢٢ يوم عمل سنوياً، فإذا حسبت الإجازات الأسبوعية فيكون ما أُهدر هو شهر كامل، فكيف بمن يهدر كل يوم ساعة أو ساعتين أو أكثر؟!

من الأساليب التدريبية على الاستفادة من الأوقات المهدرة ما يلي:

أ ـ حدِّد ساعة كل يوم لإنجاز شيء محدد كالقراءة ـ مثلاً ـ ولا تقبل التنازل عن هذه الساعة أبداً، وكذلك القول في تحديد ساعة كل يوم للحفظ، وأخرى للمراجعة، وثالثة للكتابة، وهكذا. . . فإنك إن لم تصنع ذلك فإنه ستمرُّ عليك الأيام ولم تقرأ شيئاً، والمراد هو إحداث ضغط في الجدول اليومي حتى يعي المرء أهمية الإنجاز والتخلص من التراكم الناشئ عن التسويف.

ب ـ الاستعانة بالهاتف، فإن استطعت قضاء شيء بالهاتف ـ مثلاً ـ فلا تقضِه بغيره، فقد قيل: «في الأرقام غُنية عن الأقدام»، فبعض الصالحين يهدر وقتاً طويلاً في الذهاب إلى صاحب لم يتأكد من وجوده، أو الذهاب إلى مكتبات للبحث عن كتاب محدد، وكان يمكنه أن يحادث بالهاتف فيوفر على نفسه وقتاً طويلاً مهدراً، أو أنه يجهل أنه يمكنه أن يعالج أجهزته المنزلية ويصلحها عن طريق استدعاء المختص بالهاتف ووصف المنزل له، بل إن المرء يستطيع أن يراجع بعض معاملات له في البلدية أو الجامعة أو بعض الدوائر الحكومية عن طريق الهاتف فلا يصنع هذا ويذهب بنفسه، فتكون النتيجة أن

المعاملة لم تفرغ بعد وأن عليه أن يأتي في وقت آخر، وهكذا. . .

ج ـ تعرَّف على قيمة الدقائق قبل الساعات:

إذ الدقائق ثمينة والوقت يمرُّ بسرعة، ومن لا يعرف قيمة الدقائق فإنه لن يلتفت لمرور الساعات. وقد قامت شركة من الشركات بإقامة مؤتمر خُصص للارتقاء بالشركة ورفع مستوى التقنية فيها، وقد أقيم ذلك المؤتمر في واشنطن، فقام منظمو المؤتمر بحساب تكلفة الدقيقة الواحدة من دقائق المؤتمر، فخرجوا بالجدول التالي مقدرين القيمة بالدولار بالطبع، حيث إن المؤتمر أقيم في أمريكا:

أ ـ حساب التكاليف المباشرة لـ ٣٠ من الباحثين من الخارج:	**السعر بالدولار**
تذاكر سفر بالطائرات (٣٠ × ٢٠٠ دولار/ للباحث الواحد)	٦٠٠٠
السكن (٣٠ × ٤٠ دولاراً للغرفة/ لليلتين)	٢٤٠٠
الطعام (٣٠ × ٨ دولارات/ للوجبة لـ ٥ وجبات)	١٢٠٠
(١٥ مشاركاً محلياً × ٨ دولارات × ٣ وجبات	٣٦٠
النقل المحلي (سيارتان × ٦٠ دولاراً يومياً/ ٢ يوم)	٢٤٠
خدمات السكرتارية	١٠٠٠
الهاتف	٤٠٠
قرطاسية ونسخ وتصوير	١٢٠٠
مصاريف ثابتة	١٠٠٠
مكافآت شرفية للأبحاث (٦ × ٢٠٠) دولار	١٢٠٠
الإجمالي	**١٥٠٠٠**

ب ـ حساب وقت التقديم والعرض: ١٠ جلسات × ساعة ١,٥ للجلسة (جمعة ٣ سبت ٥ أحد ٢)	**١٥ ساعة**
ج ـ حساب التكاليف المباشرة للجلسة بالساعة: (١٥٠٠٠ دولار/ ١٥ ساعة)	**١,٠٠ دولار للساعة**
د ـ حساب التكاليف بالدقيقة: (١٠٠٠ دولار ٦٠ دقيقة)	**١٧ دولاراً للدقيقة الواحدة**

هذه هي التكاليف المباشرة فقط التي لا تأخذ في الحسبان رواتب الباحثين والمنظمين لمدة ٤٨ساعة قضوها إضافة إلى أوقات سفرهم إذا أدخلنا رواتبهم على أساس: (٤٥ شخصاً × ١٠٠دولار/يوم × ٢يوم) = ٩٠٠٠ دولار.

عندئذ تصبح تكلفة الجلسة/ ساعة: (١٥٠٠٠ + ٩٠٠٠) ١٥= ١٦٠٠ دولار للساعة.

١٦٠٠ دولار ٦٠ دقيقة = ٢٧ دولاراً للدقيقة الواحدة، فتأمل[١].

إذا تعلمنا أن نحسب الكلفة بالدقيقة لنشاطاتنا كافة، فسوف ندرك كم من الأموال والطاقات تضيع بسبب تأخر الحضور أو عدم الاهتمام بموضوعات اللقاءات، أو غير ذلك من أسباب الهدر والتضييع، والله المستعان.

٢ــ التدريب على استعمال أسلوب التفتيق أو العصف الذهني:

هذا أسلوب من أهم الأساليب الكاشفة لما عند الآخرين من أفكار أو قدرات، وهو موفر للوقت، بحيث تجتمع عقول مفكرة في مكان

(١) «دليل التنمية البشرية»: ١٩٩ـ٢٠٠.

واحد وفي وقت واحد، للبت في شأن محدد، واستعماله ينبئ بوجود مناخ حسن وبيئة بعيدة عن الكَبْت والقهر.

وقد أوضح مدير إحدى الشركات أهمية هذا الأسلوب الذي يتبعه في إدارة شركته، وإشراك موظفيه في اتخاذ القرار أثناء ندوات يعقدها في مقر شركته لأجل هذا الغرض، وبيَّن ما جلب عليه هذا الأسلوب من أرباح وفوائد، وذكر مثالاً لجلسات العصف الذهني فقال: «يُتَّبع هذا الأسلوب لتنشيط الأذهان وتوليد الأفكار الجديدة وتسهيل مهمة التعبير عنها، وهو أسلوب لجمع المعلومات في اجتماع محدد، ويطبق هذا الأسلوب في حال غياب المعلومات أو نضوبها وبروز حاجة ملحَّة لإيجادها، وهي عملية تفكير بصوتٍ عالٍ وبغير قيود، وذلك بخلاف النقاش المنظَّم المحدد.

وينبغي تخصيص جلسة لهذا الأمر وتحديد موضوع معين مطلوب التفكير فيه، وتقسم الجلسة إلى ثلاث مراحل:

الأولى: هي طرح الأفكار حسب ورودها تلقائياً وتسجيلها؛ كي يمكن الاطلاع عليها من قبل الجميع، ودون السماح بتقديم أي نقد أو تقويم لها.

الثانية: دعوة المشاركين للتحدث عن أفكارهم بذكر عيوبها ومحاسنها بدون التحيز إليها، أو التفاخر بها.

والثالثة: هي مناقشة مزايا كل فكرة وجدواها وأولويتها، ومن ثَم تصنيف الأفكار المطروحة كلها على أساس مجموعة معايير يتفق عليها.

تشجيع المساهمة:

بالإمكان تشجيع إسهام الأعضاء في عملية التفتُّق الذهني باستخدام الأساليب التالية:

أ ـ عقد جلسة التفتُّق الذهني خلال فترة تكون فيها المجموعة في أوج نشاطها الذهني.

ب ـ تنوُّع المجموعة بقدر الإمكان آخذين في الحسبان تقارب الأفراد من حيث مراكزهم وإلمامهم بالموضوع؛ كي يشعر الجميع بحرية مطلقة في المشاركة.

ج ـ تقليل العدد بما يسهل التحكّم في إدارة الجلسة وبما يكفل مشاركة أوسع في النقاش، ويعدّ أنسب حجم لذلك ما بين ٥ و٧ أفراد.

د ـ ترتيب جلوس المشاركين حول طاولة مستديرة يواجه فيها الأفراد بعضهم بعضاً؛ كي يتم النقاش في حرية وبنجاح.

هـ ـ تخصيص قدر من الزمن يكفل للجميع المشاركة بدون أن يكون ذلك على حساب التركيز والاختصار.

و ـ تسجيل كل الأفكار وتمكين الجميع من الاطلاع عليها مهما بدت غريبة أو شاذة.

ز ـ عدم تقويم الاقتراحات أو السماح بالتعليق عليها أو انتقادها عند طرحها في البداية.

ح ـ تحديد المشكلة وتذكير الحاضرين بها من حين لآخر، وكلما دعت الحاجة.

استخلاص النتائج:

إن الهدف من طرح الأفكار بهذه الصورة التلقائية الحرة هو الوصول إلى نتائج واقعية منبثقة من المعلومات التي تم جمعها. ولتحقيق ذلك ينبغي الإعداد للجلسة على الوجه التالي:

أ ـ «دع كل مشارك يذكر مزايا اقتراحاته ومساوئها.

ب ـ رتِّب المقترحات حسب الأولوية والجدوى.

ج ـ ابحث عن الطرق الممكنة لتنفيذ أفضل الاقتراحات.

د ـ اختر المقترحات الأقرب إلى تحقيق الهدف.

هـ أحل المقترحات المختارة على الجهات المختصة»[١].

(١) «دليل التنمية البشرية»: ٨٨ ـ ٨٩.

التدريب على التخلص من المصطلحات السلبية

هناك بعض المصطلحات من الكلمات والجمل لها دلالات سلبية في واقعنا وأحوالنا، ولها دلالات محبطة لمن يسمعها، وقد يتأثر بها ـ سلباً ـ تأثراً كبيراً، وهذا لكوننا قد نشأنا على تراخٍ وضعف، ولم نعتد أخذ الأمور بقوة وجد وحزم، وقد قال الله تعالى: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾[1]، لكن هذا هو واقعنا وعلينا أن نواجهه لنصلحه ونقوِّمه إن شاء الله تعالى.

من تلك المصطلحات السلبية:

١ــ سأحاول فعل كذا وكذا يوماً ما:

هذا التعبير يشي بالتردد وعدم الاهتمام بالموضوع على وجه كافٍ، أو يشي بالضعف وعدم الثقة بالنفس، ويا حبذا لو استعمل مصطلح بديل أكثر حزماً وجدية، نحو: سأنجز كذا وكذا إن شاء الله تعالى، فهذا المصطلح وأمثاله يرسخ في نفس القائل والمقول له الثقة والاطمئنان.

والنبي ﷺ نقلت عنه أحاديث كثيرة تتضمن عدداً من الأوامر والتوجيهات التي تتطلب استجابة من الصحابة رضي الله عنهم، فلم

(١) سورة البقرة: آية ٦٣.

يُحفظ ـ والله أعلم ـ عن أحد منهم قوله: سأحاول فعل كذا وكذا استجابة لأمر النبي ﷺ، بل كانوا يجيبونه ﷺ: أنا يا رسول الله، أو: نحن يا رسول الله، فقد كان ﷺ يأمرهم بأوامر متعددة متنوعة فيسارعون إلى الإجابة بلا تردد ولا تلكؤ، وكان ﷺ في بعض الأحيان يربطهم بالمشيئة ليربيهم على ملاحظتها، فقد وصف لهم نعيم الجنة فلما قال لهم: «فهل من مشمر؟» قالوا: نحن المشمرون لها يا رسول الله، فقال: «قولوا: إن شاء الله»، فقالوا: إن شاء الله[١]، فلم يقل الصحابة رضي الله عنهم: سنحاول أن نكون المشمرين، بل أجابوا بما هو لائق بحالهم رضي الله عنهم.

وقال ﷺ لجرير بن عبد الله البجليّ[٢]: «ألا تريحني من ذي الخَلَصة؟» ـ صنم في خثعم ـ فقال: بلى، فانطلق في خمسين ومئة فارس. . .[٣].

فاستجابته فورية رضي الله عنه، وجوابه حازم.

وقال ﷺ: «من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسولَه؟» فاستجاب له محمد بن مسلمة[٤] رضي الله عنه استجابة رائعة، وقتل ذلك اليهودي[٥].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الزهد: باب صفة الجنة، وفي إسناده رجل مختلف في توثيقه، ورواه ابن حبان.

(٢) صحابي مشهور. أخرج له أصحاب الكتب الستة. توفي سنة ٥١ هـ رضي الله عنه. انظر «التقريب»: ١٣٩.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب المغازي: غزوة ذي الخلصة.

(٤) محمد بن مسلمة بن سلمة الأنصاريّ. صحابي مشهور. توفي بعد سنة أربعين. أخرج له أصحاب الكتب الستة. انظر «التقريب»: ٥٠٧.

(٥) المصدر السابق: كتاب المغازي: باب قتل كعب بن الأشرف.

وهكذا نجد أن خير الأجوبة أحزمها وأسرعها استجابة لأوامر الله ورسوله ﷺ، وشر الأجوبة ما يُكسى برداء التردد أو الضعف أو التراخي، والله أعلم.

٢ـ أنا خُلقت هكذا، أو: ليس عندي أحسن من هذا، أو: هذه إمكاناتي وقدراتي:

وهذا ونحوه من المصطلحات له أثر سيئ، وهو مورث للتخذيل والضعف؛ وذلك لأن المرء يكون حاله بحسب ما يرى نفسه، وهو الذي يضع من نفسه أو يرفعها لا الناس، وإن أراد المجد والعلو فلن يجد معوقات أمامه ـ إن شاء الله تعالى ـ، فقد قال جلَّ من قائل: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾[1].

ولا أحفظ جواباً لأحد من الصحابة يماثل ما ذكرته، بل كانت حياتهم كلها جد وتشمير ومحاولة للوصول إلى الأعلى والأفضل، فالنبي ﷺ كان يحفزهم بمحفزات كثيرة، فيرى منهم الاستجابة والالتزام، فقد قال لهم ﷺ: «أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟»[2] «أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة؟»[3] ونحو هذا من الأسئلة التي لم يواجَه النبي ﷺ بإعلان الضعف والعجز، ولكن تساءلوا رضي الله عنهم عن الكيفية، وهذا هو الحال اللائق بهم رضي الله عنهم.

---

(١) سورة العنكبوت: آية ٦٩.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها: باب فضل سورة الإخلاص.

(٣) المصدر السابق: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار: باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء.

وهذا الصحابي الذي جاء النبي ﷺ فقال: إن شرائعَ الإسلام قد كثرت عليَّ، فأخبرني بأمر لا أزال أتشبث به، فقال له ﷺ: «قل: آمنتُ بالله، ثم استقم»[١]، فهذا الصحابي رضي الله عنه لم يعلن العجز، ولم يرد الأمر، بل طلب الدلالة على أمر جامع يتمسك به.

وهذا الصحابي الضرير لما جاء يستأذن رسول الله ﷺ في الصلاة ببيته، فقال له رسول الله ﷺ: «هل تسمع النداء بالصلاة؟» قال: نعم، قال: «فأجب»[٢].

فامتثل رضي الله تعالى عنه على أنه كان له عذر واضح، فلم ينقل عنه إظهار العجز أو القصور.

٣ـ أنت السبب، أو أنت الملوم، أو غير ذلك مما ينبئ باللوم والاتهام للآخرين:

وهذه المصطلحات ونحوها تستعمل في الهروب من الواقع والتملص من المسؤولية الشخصية، ويا حبذا لو استبدل به كلمة: أنا السبب أو نحوها مما ينطوي على تحمل الأمانة والشعور بالمسؤولية، فاستعمال مثل هذا المصطلح البديل يورث الاطمئنان إلى أهلية الشخص، وأنه لا يلقي بتبعة تقصيره على الآخرين.

هذا نبي الله آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ لما عصى ربَّه بالأكل من الشجرة لم يقل لربه تبارك وتعالى مثلاً: أنت قدَّرت عليَّ أو أنت كتبت علي، إنما قال ﷺ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾[٣].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان: باب جامع أوصاف الإسلام.

(٢) المصدر السابق: كتاب المساجد ومواضع الصلاة: باب فضل صلاة الجماعة.

(٣) سورة الأعراف: آية ٢٣.

ويجوز ـ في ميزان الأدب ـ أن ينسب المرء إلى نفسه التقصير، أو ينسبه إلى نفسه والآخرين ولو لم يكن له علاقة به، فهذا نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام لما خاطب أباه بما جرى بينه وبين إخوته، قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ﴾[1].

فقد نسب عليه الصلاة والسلام ظلم إخوته له إلى الشيطان، وجعل الأمر مشتركاً بينهم، ولم يكن له علاقة ألبتة بما جرى عليه الصلاة والسلام، بل كانوا هم الظالمين قطعاً، مع ذلك لم ينسب إليهم ما حدث أدباً منه عليه الصلاة والسلام.

فيجب إذاً على كل منا أن يكون على المظنون به من تحمل المسؤولية، والإقرار بالتقصير وعدم الهروب بإلقاء التبعة على الآخرين، وقصة كعب بن مالك رضي الله عنه في تحمله المسؤولية عن تخلفه عن غزوة تبوك، والإقرار الكامل بذلك بين يدي رسول الله ﷺ معروفة مشهورة، وأيضاً قصة حاطب بن أبي بَلْتَعة رضي الله عنه[2] وإقراره الكامل بما صنع من إخبار قريش بالغزو، فلم يحاول التملص ولا التهرب رضي الله تعالى عنه، وهكذا ينبغي أن نكون إذا وقعنا في خطأ، حمانا الله تعالى وإياكم.

---

(١) سورة يوسف: آية ١٠٠.

(٢) اللخميّ، حليف بني أسد بن عبد العزى. كان أحد الفرسان في الجاهلية وشاعراً من شعرائهم. توفي رضي الله عنه سنة ثلاثين وله خمس وستون سنة.

٤ـ هذا الأمر صعب أو مشكل أو فيه مخاطرة:

وهذه المصطلحات وأمثالها ـ إن قيلت على غير وجهها ـ تنبئ عن قصور في التصور وضعف في أخذ ما ينبغي أخذه بقوة، وهذا الشخص المردد لهذه المصطلحات إنما يرددها غيرَ مدرك لما تورثه في نفسه من عقبات وحواجزَ قد يصعب عليه تجاوزها طيلة حياته.

وينبغي على المرء أن يدرب نفسه على استعمال بعض المصطلحات التي تعينه وتفتح له آفاقاً بعد آفاق، كأن يقول ـ مثلاً ـ في نفسه: هذا فيه تحدٍّ لي وأنا أهل له إن شاء الله تعالى، أو أن يقول: هذه فرصة عظيمة إن انتهزتها فتحت لي مجالاتٍ عظيمة، أو أن يقول: سأذلل كل العقبات ـ إن شاء الله تعالى ـ حتى يتذلل هذا الأمر ويسهل، وأمثال هذه الجمل التي تعين على تحقيق المراد.

لما خرج النبي ﷺ طالباً عير قريش وخرج معه عدد من أصحابه رضي الله تعالى عنهم، فوجئوا بما لم يكن في حسبانهم، إذ برز لهم جيش كثيف نسبياً، فلما استشار النبي ﷺ أصحابه لم يقل أحد منهم: هذه مشكلة، أو هذه مخاطرة، أو هذا أمر صعب، بل تنوعت كلماتهم لفظاً واتفقت معنى في وجوب التصدي لهذا الجيش وإعلان مساندتهم الكاملة للنبي ﷺ رضي الله تعالى عنهم، ما أحسن استجابتهم وأكرم نفوسهم.

وحدِّث ولا حرج عما يورثه انتهاز الفرص وعدم الالتفات إلى الصعاب من مجد ورفعة، فهذا الحديث مستلذ مستطاب وعليه أمثلة كثيرة من تاريخنا الإسلامي: فتح مكة، وفتح العراق والشام، بل فتح أكثر الأمصار، وحطين، وفتح بيت المقدس، وعين جالوت، وحرب

رمضان سنة ١٣٩٣، وغير ذلك كثير مبثوث في التاريخ، والله المسؤول أن يرجع لنا أمجادنا التليدة وأوطاننا السليبة.

٥ ـ أنا أعرف تماماً ما يجري حولي ومطلع عليه:

هذا المصطلح يورث قائله الغرور أو الغفلة، وذلك لأنه ينشئ بهذا المصطلح وأمثاله سداً منيعاً بينه وبين الناس؛ إذ يحجمون عن نصحه أو إبلاغه بما هو في أمسِّ الحاجة لمعرفته وإدراكه، ويظن المسكين أنه قد أحاط بكل شيء علماً.

وقد كان النبي ﷺ وهو الموحى إليه المسدَّد المؤيَّد يراجَع في بعض الأمور والشؤون، فلا يجد غضاضة في ذلك، ولا يجد مَن يراجعه حرجاً من مراجعته تلك لأنه يعلم أن النبي ﷺ قد أفسح له الطريق بقوله: «الدين النصيحة». قلنا: لمن؟ قال: «لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم»[١].

فمثل هذا الكلام المشجِّع قد فتح الباب على مصراعيه للمراجعة والنصيحة، فلم يؤثر عنه ﷺ امتناع عن تقبل النصح أو ترفع عنه أو استنكاف له، ولم يشعر الصحابة رضي الله تعالى عنهم بهذا أبداً، فهذا الحُباب بن المنذر رضي الله عنه[٢] يقول للنبي ﷺ: يا رسول الله، أهذا منزل أنزلكه الله أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: «بل هو

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان: باب قول النبي ﷺ: «الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين».

(٢) الحُباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري الخزرجي ثم السلميّ. شهد بدراً. وكان يقرض الشعر. توفي في خلافة عمر رضي الله عنهما وقد زاد على الخمسين. انظر «الإصابة»: ١/ ٣٠٢.

الرأي والحرب والمكيدة». فقال الحباب: يا رسول الله، إن هذا ليس بمنزل!![١]

ثم أشار عليه برأي آخر فأخذ به رسول الله ﷺ.

بل قد وصف المنافقون رسول الله ﷺ بأنه أُذُن أي يستمع ويصغي لكل من يخبره بشيء، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾[٢].

وهكذا إذا شعر الناس أن شخصاً ما يتقبل كلامهم ونصائحهم ويقبل عليها، ويأخذ بالنافع منها بعد أن يسمعها بصدر رحب، فإنهم سيوالونه بالنصح الثمين والتذكير المهم الذي يرفع من شأن الشخص، ويجنبه المزالق والأخطاء الفادحة.

وليس أفضل ـ في باب التدريب على تجاوز هذا المصطلح ـ من تعليم النفس التواضع، وقراءة الأحاديث التي رفعت قدره وحذرت من الكِبْر وأهله، وقراءة سير السلف الصالحين، ومصاحبة المربين الصالحين تحمي من هذا الغرور الخطير والكبر الأثيم.

٦ـ جملة من الألفاظ المحبطة:

إن كثيراً من الناس يطلق ألفاظاً لا يدرك خطورتها، أو أنه يواجه الناس بعبارات تورثهم الإحباط والضيق، وقد ينصرفون بالكامل عن أهدافهم إذا تعودوا من الشخص المشارك لهم أن يواجههم بمثل هذه العبارات.

---

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام: ٢/ ٦٢٠.

(٢) سورة التوبة: آية ٦١.

وقد بيَّن أحد الباحثين عدداً من هذه الألفاظ المستعملة في بعض الشركات والمؤسسات، والتي تنذر بخرابها وإفلاسها، وإعراض الناس عنها، وذلك نحو:

١ـ لم نستخدم أبداً هذه الطريقة من قبل.

٢ـ لا تتحرك بسرعة زائدة.

٣ـ فلننتظر ونرى.

٤ـ ليست مشكلتنا.

٥ـ هذا مبكِّر جداً.

٦ـ هذا متأخر جداً.

٧ـ لن تستطيع أبداً أن تقنع الآخرين بذلك.

٨ ـ لن تصلح.

٩ـ ليس لدينا القوى العاملة.

١٠ـ أنا متأكد أنها لن تصلح.

١١ـ لن يعلمني شاب مراهق كيف أدير هذه المنظمة.

١٢ـ ستزيد النفقات العامة.

١٣ـ أنت لا تفهم مشكلتنا.

١٤ـ تلك مسؤوليتهم وليست مسؤوليتنا.

١٥ـ دعنا نشكِّل لجنة.

١٦ـ لو كان فيه خير لاقترحه البعض.

١٧ـ فلنناقش هذا في فرصة أخرى.

١٨ـ حجمنا صغير/ كبير جداً بالنسبة إلى ذلك.

١٩ـ لا توجد لوائح تتعلق بذلك.

٢٠ـ لماذا الجديد الآن؟

٢١ـ لقد جرَّبنا هذا من قبل.

٢٢ـ مناسب نظرياً لكن هل يمكن أن نطبقه عملياً؟

٢٣ـ عصري زيادة عن اللزوم.

٢٤ـ من طراز عتيق جداً.

٢٥ـ ليست في الميزانية.

٢٦ـ لسنا على استعداد لها.

٢٧ـ وهذا يعني المزيد من العمل.

٢٨ـ فلنجعلها في شكل مكتوب.

٢٩ـ لن تصلح في صناعتنا.

٣٠ـ كلام فارغ.

٣١ـ لدينا مشاريع كثيرة جداً الآن.

٣٢ـ لقد ظل الحال هكذا لمدة عشر سنوات، فلا بد أن كل شيء على ما يرام.

٣٣ـ عدنا إلى هذه السيرة.

٣٤ـ لا أرى أي علاقة.

٣٥ـ اللوائح لا تمكننا من ذلك.

٣٦ـ ليست في الخطة[١].

---

(١) «دليل التنمية البشرية»: ٢٤٢.

بمثل هذه التعبيرات تتهدم المؤسسات أو تتراجع تراجعاً كبيراً، وذلك لما تورثه من الإحباط أو الغرور، وبمثل تلك التعبيرات يحبط الأشخاص، وتوضع سدود أمام طموحاتهم، ويستطيع الشخص ـ بسهولة ـ إذا اعتاد التفوّه بها وأمثالها أن يقضي على طموح جماعة كبيرة من الناس، والله تعالى أعلم.

فوائد التدريب على انتهاز الفرص

الحياة التي يحياها المرء تجري في كثير من الأحيان على وتيرة واحدة، رتيبة ليس فيها شيء جديد ـ كما يقال ـ لكن قد تلوح في الأفق فرصة تغير مجرى حياة الشخص كلية، وتؤثر في سيره في هذه الحياة، وقد لا تلوح هذه الفرصة إلا مرة واحدة في حياته، فإن انتهزها واستغلَّها استقامت له وصحَّت وإلا انصرفت عنه وولَّت.

وشرط انتهاز الفرصة أن يكون الشخص مدركاً أنها فرصة، فكم من أشخاص تلوح لهم فرص ثم لا يستفيدون منها لعدم إدراكهم أنها فرصة قد لا تتكرر، لذلك شرعت لنا الاستخارة وحببت إلينا الاستشارة، وكان النصح لعامة المسلمين من الأصول الأصلية في شرعنا المطهر، و«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ـ أو قال: لجاره ـ ما يحب لنفسه»[(١)].

والفرصة قد تكون مركزاً وجاهاً ومنصباً يخدم به المرء دينه وأهل دينه خاصة في المناصب العالمية، ومثالها ـ اليوم ـ منصب مدير اليونيسكو، الذي يُتنافس عليه، فمن فاز به وسخره لخدمة دينه فقد فاز.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان: باب لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

والفرصة قد تكون تجارة سانحة تعود على صاحبها بالمال الجزيل؛ فيستفيد منه فائدة جليلة في دينه ودنياه، والمال اليوم عصب الحياة كما هو معلوم.

والفرصة قد تكون منحة دراسية نادرة تعود على الأمة بأعظم الفوائد.

والفرص كثيرة لا يمكن حصرها ولا الدلالة عليها وإلا لم تصبح فرصة.

والنبي ﷺ قد انتهز عدة فرص في حياته الشريفة، فلقاؤه المشركين ببدر فرصة، وفتحه مكة بعد أن نقضت قريش العهد مع خزاعة، فاهتبل النبي ﷺ تلك الفرصة السانحة وفتح مكة وأزال عنها الأصنام والشرك، وكانت بوابة لدخول أهل الجزيرة كلهم في الإسلام، فما أعظمها من فرصة، وما أحسن اقتناصها.

وهذا عمر رضي الله تعالى عنه انتهز الفرصة السانحة بوجود كثير من الصحابة الأبطال رضي الله تعالى عنهم، واتفاق كلمة الناس عليهم، ففتح بهم أجزاء كبيرة من الإمبراطوريات ذوات الحضارات، وأنارها بالإسلام بعد ظلام طويل.

وهذا عثمان رضي الله تعالى عنه انتهز فرصة وجود الصحابة رضي الله تعالى عنهم في المدينة، فجمع الناس على مصحف إمام واحد اتفقت كلمة الصحابة عليه، وصار للناس إماماً مجمعاً عليه، فحمى الله تعالى به من شر كثير واختلاف عريض وفساد كبير.

وهذا الحسن رضي الله تعالى عنه انتهز فرصة اجتماع أكثر الناس عليه، فتنازل لمعاوية رضي الله تعالى عنه عن الخلافة، وحقن دماء

المسلمين، واستحقَّ السيادةَ التي وصفه بها رسول الله ﷺ معجزة له حين قال: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[١].

وهذا رجاء بن حيوة[٢] رحمه الله تعالى رحمة واسعة، استغلَّ الفرصة العظيمة حين وجد من سليمان بن عبد الملك رحمه الله تعالى إقبالاً عليه وإصغاءً له وحباً لعمر بن عبد العزيز، فأقنعه أن يعهد لعمر بالخلافة من بعده، وسهل ما يتصوره سليمان من عقبات من قبل هشام أخيه وغيره من بني أمية، ومضت الخلافة لعمر رضي الله عنه فأعادها راشدة كما كانت، وجرى على يديه خير كثير.

وهذا المأمون[٣] أعجب بعلي بن موسى الرضا[٤] رحمهما الله تعالى إعجاباً بالغاً، وانتهزَ فرصةَ أن بيده مقاليد الأمور، ووجد رجلاً صالحاً عاقلاً أهلاً للخلافة، فولَّاه ولاية العهد ولم يأبه لاعتراضات بني العباس، صحيح أن علي بن موسى توفي سنة ٢٠٣ قبل وفاة المأمون بخمس عشرة سنة، لكني أتحدث عن الأصل، وهو وجود فرصة وانتهازها وتوجيهها للخير والصلاح.

---

(١) أخرجه الإمام البخاريّ في صحيحه: كتاب الصلح: باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي رضي الله عنهما: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين».

(٢) هو وزير سليمان بن عبد الملك، وكان من كبار التابعين. توفي سنة ١١٢ رحمه الله تعالى، وانظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ٤/ ٥٥٧ وما بعدها.

(٣) عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد، أبو العباس، أحد أذكياء الخلفاء وكبارهم لولا ميله إلى الاعتزال، نسأل الله السلامة. توفي سنة ٢١٨ رحمه الله تعالى. انظر ترجمته في المصدر السابق: ١٠/ ٢٧٢، وما بعدها.

(٤) من نسل الحسين بن علي رضي الله عنهم، ولد سنة ١٤٨ وتوفي كهلاً سنة ٢٠٣ رحمه الله تعالى. انظر المصدر السابق: ٩/ ٣٨٧، وما بعدها.

والمتوكِّل[١] انتهز فرصة توليه الخلافة وقام بإنهاء فتنة خلق القرآن التي امتدت أعواماً طويلة، وأحيا السنة وكرَّم الإمام أحمد رحمهما الله تعالى، فقطع دابر فتنة كادت تعصف بصفاء العقيدة ونقائها.

ونظام الملك الوزير الصالح[٢] الذي انتهز فرصة إقبال الدولة عليه، فبنى مدارس عرفت بالمدارس النظامية في بغداد ونيسابور وغيرهما، وعيَّن كبار العلماء مدرِّسين فيها.

وعون الدين ابن هُبيرة[٣] الوزير الصالح انتهز فرصة وزارته وأكرم العلماء وطلبة العلم، وأجرى عليهم أرزاقاً، وجعلهم المقربين إليه، وعمل أعمالاً جليلةً من البر والعدل.

ونور الدين زنكي[٤] انتهز فرصة سلطنته على رقعة واسعة من البلاد الإسلامية، وقام بافتتاح سلسلة طويلة من المعارك مع الصليبين الذين عاثوا في الديار الشامية زماناً طويلاً، ومهد الطريق لخلفه صلاح الدين

---

(١) جعفر بن محمد بن هارون، أبو الفضل العباسي. توفي رحمه الله تعالى سنة ٢٤٧ انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ١٢/ ٣٠ وما بعدها.

(٢) الوزير الكبير الحسن بن علي بن إسحاق الطوسيّ. عاقل سائس، خبير، سعيد. كان فيه خير وتقوى وميل إلى الصالحين وخضوع لموعظتهم حتى ينكسر ويبكي. قتل على يد الباطنية سنة ٤٨٥ رحمه الله تعالى. انظر المصدر السابق: ١٩/ ٩٤ وما بعدها.

(٣) الوزير الكامل والإمام العالم العادل، عون الدين، يمين الخلافة، أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة الشيبانيّ الدوري العراقيّ الحنبلي صاحب التصانيف، وزير الدولة السلجوقية. كانت له أفعال حسنة وصفات جميلة. توفي سنة ٥٦٠ رحمه الله تعالى. انظر المصدر السابق: ٢٠/ ٤٢٦ وما بعدها.

(٤) الملك العادل تقي الملوك ليث الإسلام محمود بن زَنكي التركيّ. ولد سنة ٥١١، وكان قد حمل رايتي العدل والجهاد، قَلَّ أن ترى العيون مثله. توفي سنة ٥٦٩ رحمه الله تعالى. انظر المصدر السابق: ٤/ ١٥٧٩ـ ١٥٨٣.

الذي استغلَّ فرصة سانحة جداً، وأخرج الصليبيين من بيت المقدس بعد احتلال طويل دام قرابة تسعين سنة.

وهذا الأشرف خليل السلطان المملوكيّ[١] الذي انتهز فرصة مناسبة فطرد الصليبيين من عكا آخر معاقلهم هناك، وطهر الساحل الشامي والديار الإسلامية منهم.

والسلطان العظيم محمد الفاتح[٢] الذي مدحه النبي ﷺ بقوله: «لتفتحنَّ القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش»[٣]، هذا السلطان انتهز الفرصة السانحة المهمة وقام بفتح القسطنطينية القلعة الشامخة التي حاول كثير من الخلفاء والملوك فتحها فما تيسَّر لهم، فانتهز تلك الفرصة العظيمة، وافتتحها ودوى الأذان في جنباتها، وقهر الكفار قهراً عظيماً، ولله الحمد.

والسلطان العظيم أورانك زيب عالم كَير[٤] الذي حكم دولة المغول

---

(١) خليل بن قلاوون السلطان الملك الأشرف الصالحيّ. تولّى السلطنة سنة ٦٨٩ بعد والده، واستفتحها بالجهاد، ونازل عكا وفتحها، ونظف الشام كله من الفرنج، وفتح حصناً للروم، وكان بطلاً مقداماً شجاعاً عالي الهمة، ضخماً سميناً، جواداً، منهمكاً باللذات. قتل رحمه الله تعالى سنة ٦٩٣ وهو دون الثلاثين. انظر «الوافي بالوفيات»: ١٣/ ٣٩٩ ـ ٤١٠.

(٢) محمد بن مراد بيك بن محمد بك بن بايزيد، السلطان العثماني الذي فتح القسطنطينية. تولى السلطنة بعد أبيه سنة ٨٥٥، وكان يحب العلم والعلماء مقرباً لهم، وله مآثر كثيرة من مدارس وزوايا وجوامع، وفتح القسطنطينية سنة ٨٥٧. توفي سنة ٨٨٦ رحمه الله تعالى. انظر «المختار المصون»: ١/ ٥٥٩ـ٥٦١.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن بشر بن سُحيم رضي الله عنه، وأخرجه الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي. انظر «الفتح الرباني»: ٢٣/ ١٧٤.

(٤) الإمام المجاهد المظفر المنصور السلطان بن السلطان أبو المظفر محمد أورنكَ زيب عالمكَير بن شاهجهان. أيد الإسلام وفتح الفتوحات العظيمة. ولد سنة ١٠٢٨، =

شمال الهند خمسين سنة، انتهز فرصة توليه السلطنة وأتى بأعمال مجيدة عظيمة منها تقريب العلماء، ووضع كتاب «الفتاوى الهندية» بمساعدة علماء الهند له، وأعاد العدل، ورفع مظالم كثيرة، وألغى الضرائب والمكوس.

والإمام محمد بن عبد الوهاب الذي انتهز فرصة سانحة ونشر العقيدة الصحيحة بين سكان نجد وما حولها بالتعاون مع الأمير محمد بن سعود، فقامت دولة الدين فتية، ولله الحمد.

وهكذا الفرص إذا انتهزت وسخرت لصالح الإسلام والمسلمين؛ فإنها تكون في غاية الفائدة، ويكون منتهزُها مشكوراً مأجوراً إن شاء الله تعالى، والله أعلم.

= وتولى السلطنة سنة ١٠٦٨ لمدة خمسين سنة حيث توفي سنة ١١١٨، وكان عادلاً متورعاً عابداً رحمهُ الله تعالى. انظر «المختار المصون»: ٣/ ١٣٧٠ ـ ١٣٧٨.

كيفية التدريب على انتهاز الفرص

إذا كانت الفرص وانتهازها على هذه الأهمية البالغة؛ فيجب أن يدرب المرء نفسه على تحسس الفرص وإحسان انتهازها على الوجه المقترح الآتي:

أولاً: إحسان تتبع الأخبار وتَسَقُّطها، فإن كثيراً من الصالحين لا يأبهون بالأخبار ولا يتتبعونها التتبع الكافي إهمالاً منهم لها، أو زهداً فيها، فيحسن بالمرء إذاً أن يطَّلع على بعض الجرائد والمجلات النافعة، ويتسمع الأخبار من مصادرها المتاحة.

والأمر الغريب أن بعض من قلَّ فهمه يَنْبز مَن يتتبع أخبار المسلمين ومخططات الكافرين بأنه يريد معرفة فقه الواقع، وكأن فقه الواقع عيب يعاب على الناس وينبزون به!

ثانياً: إحسان قراءة الوقائع بدون إفراط ولا تفريط، ولا مبالغة ولا غلوٍّ ولا شطط، فإن آفة الأخبار رواتها، والعجب ممن يهول الأمور تهويلاً يؤدي إلى الإحباط، أو يهون من شأنها تهويناً يؤدي إلى التقصير في تتبعها وإدراكها، فإن كلا الرجلين قد أخطأ القصد ومال إلى الإفراط أو التفريط.

ثالثاً: توسيع «الأفق» فإن ضيقه يؤدي بالمرء إلى فقدان فرص

كثيرة، أو إلى توهم ما ليس بشيء فرصة عظيمة، ويحصل للمرء «سعة الأفق» هذه بكثرة اطِّلاعه وتعدد رحلاته، ومقابلته لكثير من المجربين ممن صقلتهم الأيام، بالإضافة إلى ما رُزقه من موهبة فطرية ونظرات صائبة قوية.

رابعاً: إحسان بناء العلاقات بالناس خاصة الوجهاء والمقدَّمين منهم، فإنهم ـ عادةً ـ الباب الذي يولج منه لانتهاز الفرص، والنبي ﷺ كان يولي هؤلاء عناية خاصة ويكرمهم ويرفع قدرهم[١].

خامساً: الإقدام والعزم، فإن النكوص والتردد والضعف يضيع الفرصة ويهدرها، قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾[٢]، وقال الشاعر:

إذا هبَّت رياحك فاغتنمها
فإن الخافقات لها سكونُ
وإن ولدت نياقك فاحتلبها
فلا تدري الفصيل لمن يكونُ

سادساً: قراءة تاريخ الذين انتهزوا الفرص ممن ذكرتهم آنفاً وأمثالهم من المسلمين وغيرهم، فإن تجاربهم نافعة، وتعلم المرء طرقاً متنوعة في هذا الباب، وخير ما يعين على هذا قراءة كتب السير وكتب الذكريات والمذكرات.

---

(١) يراجع قصة عدي بن حاتم وجرير بن عبد الله البجليّ وأمثالهما رضي الله عنهما في السيرة المعطرة.
(٢) سورة آل عمران: آية ١٥٩.

سابعاً: استشارة أهل الخبرة في هذا الباب، والاستفادة مما عندهم من تجارب، وكانت العرب قديماً تقول: ما ندم من استخار، وما خاب من استشار.

هذه بعض طرائق تعلم انتهاز الفرص ليُخدم بها الإسلام وأهله، والله تعالى أعلم.

التدريب على المحاسبة والمساءلة والتقويم

لا بد من إرساء مبدأ المحاسبة والمساءلة في كل أعمال المسلم، فالمحاسبة والمساءلة ترتفعان بالشخص إلى تحقيق ما هو مسؤول عنه ومطالب به، والعكس من ذلك صحيح، فإذا غابت المحاسبة والمساءلة تدهور العمل وقلّ العطاء.

والله تبارك وتعالى يحاسب عبادَه يوم القيامة، ويرغبهم بمحاسبة أنفسهم قبل أن يُحاسبوا، والعباد يحاسب بعضهم بعضاً على الأموال والحقوق أشد المحاسبة، فالدعاة أحرى أن يحاسب بعضهم بعضاً، ويوقف بعضهم بعضاً على مسؤوليته في الدعوة إلى الله تعالى، فلو أخذت مراكز الدعوة والمكاتب التعاونية وهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأخذ بهذا كل العاملين للإسلام، لو أخذوا جميعهم بهذا المبدأ لاستقامت أمور كثيرة معوجَّة، ولصُححت أوضاع خاطئة كثيرة.

لماذا يكون ثقيلاً على النفس «قيام شخص بمحاسبة شخص آخر ومساءلته ومناقشته في عيوبه أو هفواته، وبالخصوص إذا كان الشخص مساوياً للشخص في المكانة الاجتماعية، أو بخصوصية أكبر إذا كان الناصح أو الناقد أو المناقش شخصاً أقلَّ من الآخر في قليل أو كثير. .

كم من أخوة ذابت، وصداقات تهاوت، وزمالة انتكست لأن الأخ أو الصديق أو الزميل حاول ألا ينتظر أو يمارس الحيادية الفارغة أو المجاملة عند صدور خطأ من الشخص، بل ناقشه فيه فوراً...»[١].

هذا، وقد كان النبي ﷺ يقيد من نفسه الشريفة الكريمة، وما ذاك إلا ضرب من المحاسبة في الذروة منها والكمال، فعن أُسيد بن حُضير[٢] رضي الله عنه أن النبي ﷺ طعنه في خاصرته بعود، فقال: أَصِبرْني[٣]، فقال: «اصطبر»، قال: إن عليك قميصاً وليس عليَّ قميص، فرفع النبي ﷺ عن قميصِه فاحتضَنه وجعل يقبِّل كَشْحه، قال: إنما أردت هذا يا رسول الله[٤].

وقال الشافعي: روي من حديث عمر أنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ يعطي القَوَد من نفسه، وأبا بكر يعطي القَوَد من نفسه، وأنا أعطي القَوَد من نفسي»[٥].

فهذه أصول في المحاسبة يجب أن تراعى وتُؤدَّى.

والنبي ﷺ كان يحاسب العمَّال، فقد «استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأَسْد[٦] على صدقات بني سُلَيم يُدعى ابنَ اللُّتْبِيَّة، فلما جاء حاسبه»[٧].

(١) «الانتحار الذاتي»: ٩٤-٩٦.
(٢) أُسيد بن حُضير بن سِماك الأنصاري الأَشْهليّ، أبو يحيى. صحابي جليل. توفي سنة عشرين أو في التي بعدها، رضي الله عنه. انظر: «التقريب»: ١١٢.
(٣) أي: أَقِدْني من نفسك.
(٤) أخرجه الإمام أبو داود في سننه: كتاب الأدب. والكَشْح: الخاصرة.
(٥) «عون المعبود»: ١٢/ ٢٦٨.
(٦) الأسد والأزد بمعنى.
(٧) أخرجه الإمام البخاريّ رحمه الله تعالى في كتاب الزكاة: باب قول الله تعالى: ﴿وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ ومحاسبة المُصَدِّقين مع الإمام.

وقال العينيّ[١] رحمه الله تعالى: «فيه من الفقه جواز محاسبة المؤتمن، وأن المحاسبة تصحح أمانته، وهو أصل فعل عمر رضي الله تعالى عنه في محاسبة العمال»[٢].

هذا النبي ﷺ قد نبَّه أبا بكر الصديق رضي الله عنه على أمر لم يُرضِه أن يصدر من أبي بكر رضي الله عنه، فعن عائذ بن عمرو رضي الله تعالى عنه أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيِّدهم؟ فأتى النبيَّ ﷺ فأخبره، فقال: «يا أبا بكر لعلك أغضبتَهم، لئن كنتَ أغضبتَهم لقد أغضبتَ ربَّك». فأتاهم أبو بكر رضي الله عنه فقال: يا إخوتاه، أغضبتُكم؟ قالوا: لا، يغفر الله لك يا أخي[٣].

قال الإمام النوويّ رحمه الله تعالى: «هذا الإتيان كان وهو كافر في الهدنة بعد صلح الحديبية، . . . وفيه مراعاة قلوب الضعفاء وأهل الدين وإكرامهم وملاطفتهم»[٤].

---

(١) محمود بن أحمد بن موسى بدر الدين أبو محمد العيني الحلبي الأصل ثم القاهريّ، الحنفيّ. ولد في عنتاب سنة ٧٦٢ ودرس بها عدداً من العلوم وبرع، ثم ارتحل إلى بلدان متعددة ودخل القاهرة سنة ٧٨٨ وولي بها عدة وظائف واجتمع له القضاء والحسبة ونظر الأوقاف معاً ودرس بها، له عدة مصنفات. توفي سنة ٨٥٥ رحمه الله تعالى. انظر «المختار المصون»: ١/ ٥٧٠ ـ ٥٧٢.

(٢) «عمدة القاري»: ٧/ ٣٦٧.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل سلمان وبلال وصهيب رضي الله تعالى عنهم.

(٤) «صحيح مسلم بشرح النووي»: ١٦/ ٥٣.

وكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه يعلِّم الأمة المحاسبة والتقويم فيقول: «إنما أنا متَّبع ولست بمبتدع، فإن استقمتُ فبايعوني، وإن زِغْتُ فقوِّموني. . . »[1].

إذاً المحاسبة ليس فيها محذور ـ إن شاء الله تعالى ـ وعلى كل من وَلِيَ أمراً من أمور المسلمين أن يتقبل المحاسبة بصدر رحب، وهي أسهل عليه من الحساب الأخرويّ، أو أنها تُسهِّل عليه الحساب الأخرويّ.

(١) «البداية والنهاية»: ٦/ ٣٠٣.

التدريب على المحاسبة والتقويم

سأذكر في باب التدريب على المحاسبة والتقويم قواعد عامة لا تغني عن تفصيلات ليس هذا مكانها، فمن ذلك:

١ــ إنشاء المجالس التقويمية:

لا بد لإحسان التقويم والمحاسبة من إنشاء مجالس تقويمية خاصة في كل هيئة ومؤسسة داعية للإسلام، فإن هذا المجلس خطوة صحيحة في طريق الدعوة، ولا بد أن يعطى هذا التقويم الزمان الكافي بدون ملل ولا انقطاع وفق برنامج معد سلفاً متفق عليه بين أعضاء المجلس التقويميّ.

٢ــ المصارحة والقوة:

حتى يكون للتقويم أثره الصحيح لا بد من المصارحة بالأخطاء ونقدها بقوة ـ لا تخلو من أدب ـ فإن المجاملة والمواربة لا تصلحان في هذا المقام الخطير الشأن، والقسوة في هذا المقام تشبه قسوة الجراح على المريض حين يسرِّح مشرطه في جسده لكنه يُقدِّر أن هذا التسريح سيكون له أجمل العواقب وأحسنها، فلا يصح إذاً أن يغضب المرء من القوة والمصارحة حال التقويم، بل يبادر بالاعتذار المتلوِّ بالتصحيح، وعلى المقوِّم أن يحزم حيناً ويلين أخرى بحسب الحال

والموقف، حتى لا يسير بمن معه على وتيرة واحدة من الحزم أو اللين فيفسد العمل.

٣ ــ الشمول:

ينبغي أن يكون التقويم شاملاً لكل مناحي العمل فلا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ولا شاردة إلا قيَّدها، ولا واردة إلا قوَّمها وأعدَّ لها العدَّة اللازمة، وبغير ذاك قد ينفذ الخلل في ثنايا الصغائر ليقلبها كبائر، وقد يهدم البنيانَ الشامخَ زوالُ لبنة منه أو اختلالها.

٤ ــ التذكير حيناً بعد حين بأهمية العمل:

إن للمجالس التقويمية أثراً بالغاً في التذكير بأهمية العمل والحرص على تجديد العهد به في متناول يده، وهذا الأصل معلوم في دين الإسلام، فالله تعالى كان يثبت نبيَّه ﷺ حيناً بعد حين في آيات كثيرات: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾(١)، ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾(٢)، ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾(٣).

٥ ــ صقل العاملين:

إن العاملين للإسلام لفي حاجة بالغة إلى انتهاج هذا الطريق التقويميّ والتمسك به، لكنهم قد يكونون في حاجة إلى الالتحاق بدورات تدريبية تعينهم على إحسان التقويم، والغرف التجارية والمراكز الدعوية كهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمندوبيات الدعوية

---

(١) سورة هود: آية ١٢٠.

(٢) سورة الكهف: آية ٦.

(٣) سورة الضحى: آية ٣.

محالٌّ صالحة لإقامة مثل هذه الدورات لما للقائمين عليها من خبرة مناسبة، والعالم الغربي اليوم أهله في الذروة السامقة لطرق التقويم والمحاسبة؛ إذ أن حرص القوم على المال أداهم إلى أن يضعوا قواعد لجلبه وحفظه، ومن ثم التقويم والمحاسبة فيه في الغاية من الدقة والضبط، فلو أخذنا بتلك القواعد المتجددة في عملنا الإسلامي لأفلحنا إن شاء الله تعالى، والله تعالى أعلم.

التدريب على الاخشيشان والتقلل من المباحات

انقلبت كثير من المفاهيم والموازين في هذا العصر، وأصبح الترف ـ على سبيل المثال ـ هو القاعدة السائدة عند كثير من الناس، والأنكى والأشد أن يستمرئ الصالحون الترف، ويبتعدوا عن الاخشيشان والتقلل، وكأنهما وصمة عار أو هوان.

إننا نتقلب ـ بحمد الله تعالى ـ في نعم عظيمة علينا أن نشكرها وأن نقدرها حق قدرها، ومن شكر النعم الأخذ منها بقدر وعدم التوسع فيها توسعاً يؤدي إلى نسيان المعاني العلية، ويفضي إلى الكسل والإخلاد إلى الأرض، وعلى كل منا أن يدرِّب نفسه على الارتفاع عن كثير من المباحات واللذائذ حتى وإن كانت متيسرة وسهلة عليه.

إن الملايين الجائعة في العالم الإسلامي لهي أحق بتوجيه الأموال الفائضة إليها، لا أن نتمتع بها وننسى إخواننا المسلمين الذين يتضورون جوعاً ويموتون برداً.

إن مشكلة الترفّه أنه يجلب الحقد: حقد الضعفاء والفقراء ما لم يشعروا بالمواساة الصادقة الكريمة، وقد يكون هذا الحقد من بعض الصالحين الذين يعيشون ظروفاً صعبة، ويلاحظون تمتعك بكل المباحات واللذائذ، وقد يقال: وهل يحقد الصالح؟ أقول: نعم، قد

يَزلّ، وهل هو ملَك أو معصوم؟ نعم إن حقده خطأ، لكن الذي دعاه إليه ما يراه من ترفه وانشغال بالكماليات عند قوم، وتضرره هو ومَن على شاكلته حتى لا يكادون يجدون كفايتهم.

إن النبي ﷺ كان يتمتع باللذائذ والمباحات لكن بقدر، وفي أوقات دون أوقات، ولذائذه ومتعه ﷺ لا تقارن بما عليه كثير من الناس ـ حتى الصالحين ـ اليوم في متعهم ولذائذهم، فقد كان ﷺ يحب الحلوى والعسل، وكانت النساء قد حُبِّبن إليه، وحُبِّب إليه الطيب، وكان يحب الكَتِف، ويعرف منه الصحابة رضي الله تعالى عنهم ذلك ويهدون إليه.

وقد يقال: ما للاخشيشان ولموضوع الكتاب: التدريب على العمل الإسلاميّ؟

وأقول: إن للترف مدخلاً كبيراً في تأخير العمل الإسلامي، بل قد يهدمه، لأن للمترفين شأناً بعيداً عن شأن العاملين الباذلين المجاهدين المضحِّين، والمترف يصعب عليه ترك لذائذه ومحبوباته، ومن ثَمَّ يصعب عليه أن يعمل عملاً قوياً مؤثراً في الحياة من حوله، لذلك كان لا بد من نوع من الاخشيشان والتقلل من المباحات يربط المرء بالمعاني العلية، ويخرجه من دائرة الالتزام اليوميّ بمحبوباته وشهواته ومراداته.

وهكذا كان السلف صدر الأمة رضي الله عنهم يخشوشنون أحياناً كثيرة ويتمتعون قليلاً، وما كانوا في تمتعهم ـ إذا تمتعوا ـ إلا أتقياء بررة أنقياء، رضي الله تعالى عنهم.

وقد كان النبي ﷺ على غاية من الاخشيشان لا يكاد يبلغه فيها

أحد، هذا مع تمتعه في بعض الأوقات، وتناوله بعض اللذائذ والمباحات كما بيَّنت آنفاً.

هذا وقد كان قادراً ـ بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه ـ على أن يكون ملكاً نبياً، لكنه ارتضى معيشة الزهد والتقلل لأنها أقرب إلى الكمال، وقد ساس أهله ﷺ حتى ارتضوا تلك المعيشة، وخيَّرهن بين التوسع وفراقهن وبين الرضا بمعيشته ﷺ، فارتضينه كلهن رضي الله تعالى عنهن.

هذه عائشة رضي الله تعالى عنها تخبر عروة رحمه الله تعالى ـ ابن أختها ـ: «إن كنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار»، فيتعجب عروة ويقول: ما كان يُعيشُكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء... إلخ[١].

وقال أنس: «ما أعلم النبي ﷺ رأى رغيفاً مرققاً حتى لحق بالله، ولا رأى شاة سميطاً[٢] بعينه قط»[٣].

وهذه عائشة رضي الله تعالى عنها تخبر أنه ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام بُرٍّ ثلاث ليالٍ تباعاً حتى قبض[٤].

ودخل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه على رسول الله ﷺ وهو على حصير، قال: فجلست فإذا عليه إزاره وليس عليه غيره، وإذا

---

(١) صحيح البخاري: باب ما جاء في الرقاق وألا عيش إلا عيش الآخرة: باب كيف كان النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا.

(٢) أي: مشوية.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

الحصير قد أثَّر في جنبه، وإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع، وقَرَظ[١] في ناحية في الغرفة، وإذا إهاب معلق[٢]، فابتَدَرَتْ عيناي[٣]، فقال: «ما يبكيك يا بن الخطاب؟» فقال: يا نبي الله، وما لي لا أبكي وهذا الحصير قد أثَّر في جنبك، وهذه خِزانتك لا أرى بها إلا ما أرى، وذاك كسرى وقيصر في الثمار والأنهار، وأنت نبي الله وصفوته وهذه خزانتك؟

قال: «يا بن الخطاب: أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟»[٤].

أما حال السلف من الصحابة رضي الله تعالى عنهم فهم الذين تربوا على ما شاهدوا النبي ﷺ عليه، وتدربوا على وصيته: «إذا نظر أحدكم إلى من فُضِّل عليه في المال والخَلق فلينظر إلى من هو أسفل منه»[٥]. يعني أن النبي ﷺ يعلِّم أصحابه إذا ضاقت على أحدهم الدنيا أن يقارن بينه وبين من هو في ضيق أكبر وضنك أشد حتى يحمد الله تعالى ويرضى بحاله.

وهكذا درج أصحابه رضي الله تعالى عنهم، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قد عُلم حاله من الاخشيشان والضيق الذي اختاره لنفسه ولم يفرضه عليه أحد، وقد لقي يوماً جابر بن عبد الله رضي الله

---

(١) ورق الشجر الذي يدبغ به الجلد.

(٢) أي: جلد.

(٣) أي: بكى.

(٤) قال المنذري: رواه ابن ماجه بإسناد صحيح، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم: «الترغيب والترهيب»: ٤/ ٢٠٠.

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الزهد، حديث رقم ٢٩٦٣.

تعالى عنه وقد ابتاع لحماً بدرهم، فقال: ما هذا يا جابر؟ قال: قَرِم أهلي ـ أي اشتدت شهوتهم ـ فابتعت لهم لحماً بدرهم، فجعل عمر يردد: قَرِم أهلي، حتى تمنيت أن الدرهم سقط مني ولم ألقَ عمر، وفي رواية: أوَكلما اشتهيتم اشتريتم؟[(١)]

قال الإمام الحَلِيمي[(٢)] معلقاً على هذه الحادثة: «لا ينبغي أن تعود النفس، ربما تميل به إلى الشره ثم يصعب تداركها، ولتُرَضْ من أول الأمر على السداد ـ أي على الاستقامة في المأكل والمشرب وعدم الفساد بالتوسع فيهما ـ فإن ذلك أهون من أن تدرب على الفساد ثم يجتهد في إعادتها إلى الصلاح، والله أعلم»[(٣)].

وجاء رجل إلى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فسأله: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال له عبد الله بن عمرو: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم.

قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم، قال: فأنت من الأغنياء. قال: فإن لي خادماً. قال: فأنت من الملوك[(٤)].

الله أكبر، فماذا كان قائلاً لو رآنا اليوم ونحن نتقلب في النعم ظهراً لبطن والترف قد نَخَلَنا نَخْلاً، وتساوى الدعاة والصالحون ـ أو أكثرهم ـ مع غيرهم في اقتسام الترف واللذائذ وانتهاب الطيبات؟

---

(١) سنن البيهقي.
(٢) الحسين بن الحسن بن محمد البخاري الحَليمي. المتوفى سنة ٤٠٣. انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء»: ١٧/ ٢٣١.
(٣) المصدر السابق.
(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الزهد، حديث رقم ٢٩٧٩.

وجاء أصحاب سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه، يعودونه عند الاحتضار، فوجدوه يبكي، فسألوه عما به؟ فقال: عهد إلينا رسول الله ﷺ أن يكون زاد أحدنا كزاد الراكب، فقالوا: حَسَبْنا ما في بيته فإذا هو لا يزيد عن بضعة عشر درهماً، رضي الله تعالى عنه[١].

فعلى الدعاة والصالحين أن يخشوشنوا حتى لا يركنوا إلى الدنيا وتقعد بهم هممهم، وهم في حاجة ماسة إلى التدرب على هذا حتى يصبح خلقاً سائداً فيهم، نعم إن هذا زمان صعب إن طاوعتك نفسك فيه على منهاج من العيش خشن قد لا يطاوعك على ذلك أهلك والمقربون منك، لكن نسدد ونقارب، ونستعين بالله تبارك وتعالى.

أهمية الاخشيشان:

١ـ إعداد النفس للجهاد:

فالنبي ﷺ قال: «من ماتَ ولم يَغْزُ ولم يحدِّث به نفسه مات على شعبة من نفاق»[٢]. فكيف نحدِّث أنفسنا بالغزو والجهاد ونحن لم نعد أنفسنا له بالتدرب على شظف العيش ولو في أوقات دون أوقات؟!

٢ـ إعداد النفس لما قد ينزل بها من البلاء:

فالله تبارك وتعالى أخبر بقوله الجليل: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[٣].

فقد تنزل بالمرء بلية أو مصيبة ـ عافانا الله وإياكم ـ ثم إنه لا يجد

---

(١) «نزهة الفضلاء»: ١/ ٢٠٥.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الإمارة: باب ذم من مات ولم يغزُ.

(٣) سورة العنكبوت: الآيتان ٢، ٣.

القدرة في نفسه على مواجهتها، وذلك لغرقه في الترف.

٣ـ تربية الأهل والأولاد على المعاني العالية:

فمن كان هو وأهله غرقى في الترف والمباحات فمتى يعرفون طعم المجاهدة؟! متى يتذوقون عُليا المعاني ورفيعَها؟! هذا وللتقلل من المباحات لذة لا يعرفها إلا من ذاقَها وجرَّبها.

٤ـ شعور المجتمع بمشاركة الأغنياء للفقراء:

وهذا بيِّنٌ واضح؛ إذ لو شاهد الفقراء الأغنياء غير متوسعين في الإنفاق، وأنهم يشاركونهم في جوانب من ضيق عيشهم ولو في أوقات دون أوقات، وأن الأغنياء يبذلون لهم الأموال ويساعدونهم في ضيقهم ومحنتهم، لو شعر الفقراء بذلك لانمحى الحقد من صدور الناس، ولشاع فيهم خلق المودة والمحبة والإخاء.

كيفية التدريب على الاخشيشان:

إن المرء بسبب ما يكتنف الحياة المعاصرة من ترف، لفي أمسِّ الحاجة إلى التدرب على الاخشيشان والتقلل من المباحات، وفيما يلي صورة مقترحة:

أولاً: الإكثار من الصيام:

إذ الصيام من أفضل الأعمال، وليس المجال هنا عرضَ فضائل الصيام فهي كثيرة جمة، لكن أقول: إن الصيام يفطم النفس عن كثير من شهواتها، ويدربها تدريباً عملياً على التقلل من المباحات، خاصة لو أن الصائم عزم على هذا الأمر وأخذ نفسه به فيستفيد فائدة كبرى.

ثانياً: التقلل من الطعام والشراب في بعض المواسم:

وذلك لغرض تدريب النفس، وليس أفضل من شهر رمضان وأيام الحج مواسم للتقلل، إذ التقلل في تلك المواسم مقبول غير مستهجَن، فيكتفي المرء فيها بالقليل تدرباً وتقللاً.

ثالثاً: منع النفس عن بعض مرغوباتها ومشتهياتها:

ولقد ذكرت صوراً له قبل ذلك، وأقول الآن: إن عامة السلف العظام كانوا يفطمون أنفسهم من كثير من الشهوات لا تحريماً لها؛ لكن تقللاً وتقشفاً.

قال الإمام ابن القيم[(١)] رحمه الله تعالى:

قال لي شيخ الإسلام[(٢)] يوماً في شيء من المباح: «إن هذا يخالف المراتب العالية»[(٣)].

سبحان الله! وما هو المباح الذي يمكن أن يتناوله ابن القيم حتى ينهاه عنه شيخ الإسلام، وما قدره وما قيمته، لكنهم عرفوا أن الإكثار من تناول المباحات يعوِّد النفس الكسل والدعة والإخلاد إلى الأرض.

---

(١) محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُّرعي الدمشقيّ الحنبلي، ولد سنة ٦٩١. وكان جريء الجنان، واسع العلم، كثير الصلاة والتلاوة، حسن الخلق، كثير التودّد، توفي رحمه الله تعالى بدمشق سنة ٧٥١ وكانت جنازته حافلة. انظر «الدرر الكامنة»: ٤/ ٢١-٢٣.

(٢) أي ابن تيمية رحمه الله تعالى، وهو مشهور، واسمه أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، توفي سنة ٧٢٨ بدمشق. انظر ترجمته في «الدرر الكامنة»: ١/ ١٥٤-١٧٠.

(٣) «مدارج السالكين»: ٢/ ٢٦.

رابعاً: قراءة سير السلف الصالح رضي الله عنهم أهل الزهد والتقشف والتقلل:

فقراءة سيرهم معايشة لهم، ومن ثم تشبّه بهم، لكن ليحذر من ممارسات بعض المتصوفة الذين كانوا يجوعون أنفسهم حتى تفسد بعض أجهزتهم الجسمية وخلاياهم العقلية، فهذا مخالف لمنهج الإسلام السمح، والله تعالى أعلم.

ختام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

قد وضعت هذه الرسالة ـ التي أحسبها جاءت بشيء جديد في هذا الباب المهم ـ لأمرين اثنين:

أولهما: لفت الأنظار إلى هذا الباب المهم للاعتناء به تأصيلاً وتصنيفاً في رسائل أوسع وأقعد.

ثانيهما: تطبيق وسائل التدريب وطرائقه على العمل الدعوي بحيث يعود عليه بالنفع الجم والفائدة الكبيرة.

وأرجو الله تعالى أن يحقق لي ما أردت، وأن يَهُبَّ طائفة من الناس ليعتنوا بالتدريب تأصيلاً وتحقيقاً في واقع الحياة، خاصة أني قد كنت ـ وأنا أؤلف هذه الرسالة ـ مستشعراً مدى تقصير الأمة في الأخذ بهذا الأمر المهم، وقعودها عن مجال سبقها فيه آخرون، والعجب أني بحثت طويلاً عن المراجع المناسبة في هذا الباب فأعياني البحث، وما خرجت إلا بإشارات لا تسمن ولا تغني من جوع، مما يدل دلالة واضحة على تخلفنا في هذا الباب وقصورنا فيه وتقصيرنا، في جملة

ما نحن فيه مقصرون، والله تعالى المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا به، والحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلاماً على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١ـ «اثنا عشر عاماً مع الأستاذ البنا»: الأستاذ عبد البديع صقر. نشر دار المدائن. الإسكندرية. الطبعة الأولى سنة ١٤١٣.

٢ـ «الاحتساب في دعوة الإمام حسن البنا»: الأستاذ بدر الماص. نشر مكتبة المنار الإسلامية. الكويت. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧.

٣ـ «الانتحار الذاتي للجماعات الحركية في العمل الإسلامي المعاصر»: د. عادل حسون. نشر دار البلاغ. الكويت. الطبعة الأولى.

٤ـ «أثر الإسلام في تكوين الشخصية الجهادية للفرد والجماعة»: د. محمد نعيم ياسين. نشر دار الأرقم. الكويت. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤.

٥ـ «الإخوان المسلمون في ميزان الحق»: الأستاذ فريد عبد الخالق. نشر دار الصحوة. القاهرة. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨.

٦ـ «أسس في الدعوة ووسائل نشرها»: د. محمد عبد القادر أبو فارس. نشر دار الفرقان. عمَّان. الطبعة الأولى سنة ١٤١٢.

٧ـ «إعلام الموقعين عن رب العالمين»: الإمام ابن قيم الجوزية= محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١). نشر دار الفكر. بيروت. الطبعة الثانية سنة ١٣٩٧.

٨ ـ «البداية والنهاية»: الحافظ ابن كثير = إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤). نشر دار الفكر. بيروت. طبعة سنة ١٣٩٨.

٩ـ «تقريب التهذيب»: الحافظ ابن حجر = أحمد بن علي (ت ٨٥٢). تحقيق الأستاذ محمد عوامة. نشر دار الرشيد. حلب. الطبعة الأولى.

١٠ـ «جريدة اللواء الإسلامي». القاهرة. عدد ٣/٨/١٤٢٠.

١١ـ «الجهاد في الإسلام كيف نفهمه وكيف نمارسه»: د. محمد سعيد رمضان البوطي. نشر دار الفكر. دمشق. الطبعة الثانية سنة ١٤١٨.

١٢ـ «حول التربية والتعليم»: أ. د. عبد الكريم بكار. نشر دار المسلم للنشر والتوزيع. الرياض. الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠.

١٣ـ «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة»: الحافظ ابن حجر = أحمد بن علي (ت ٨٥٢). تحقيق الأستاذ محمد سيد جاد الحق. نشر دار الكتب الحديثة. القاهرة.

١٤ـ «دليل التنمية البشرية»: هشام الطالب.

١٥ـ «سنن ابن ماجه»: تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي. نشر دار الحديث. القاهرة.

١٦ـ «سير أعلام النبلاء»: الحافظ الذهبي = محمد بن أحمد (ت ٧٤٨). نشر مؤسسة الرسالة. بيروت.

١٧ـ «صحيح البخاري». نشر دار الجيل. بيروت.

١٨ـ «طرق الدعوة الإسلامية»: د. أحمد العدناني. سنة ١٤١٠.

١٩ـ «عون المعبود شرح سنن أبي داود»: العلامة أبو الطيب شمس الحق العظيم آبادي. ضبط وتحقيق الأستاذ عبد الرحمن محمد عثمان. نشر دار الفكر. بيروت. الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٩.

٢٠ـ «عمدة القاري شرح صحيح البخاري»: بدر الدين العينيّ= محمود بن أحمد (ت ٨٥٥). نشر مكتبة البابي الحلبي. القاهرة. الطبعة الأولى سنة ١٣٩٢.

٢١ـ «فتح الباري شرح صحيح البخاري»: الحافظ ابن حجر العسقلاني= أحمد بن علي (ت ٨٥٢). تحقيق مجموعة من الأساتذة. نشر مكتبة الكليات الأزهرية. القاهرة. الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨.

٢٢ـ «في ظلال القرآن»: الأستاذ سيد قطب (ت ١٣٨٧). نشر دار الشروق. بيروت.

٢٣ـ «كبرى الحركات الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجريّ»: د. محمد السيد الوكيل. نشر دار المجتمع بجدة، ودار الوفاء بالقاهرة. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦.

٢٤ـ «كيف ندعو الناس»: الأستاذ عبد البديع صقر. نشر الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية. الطبعة الثانية سنة ١٤٠٣.

٢٥ـ «الفكر السامي»: الأستاذ محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي (ت ١٣٧٦). تخريج د. عبد العزيز القاري. نشر المكتبة العلمية. المدينة المنوَّرة سنة ١٣٩٧.

٢٦ـ «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد»: الحافظ نور الدين الهيثمي (ت ٨٠٧). نشر مؤسسة المعارف. بيروت. سنة ١٤٠٦.

٢٧ـ «المفاتيح العشرة للنجاح»: د. إبراهيم الفقي. نشر المركز الكندي للبرمجة اللغوية والعصبية.

٢٨ـ «نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء»: لواضع هذه الرسالة. نشر دار الأندلس الخضراء. جدة. الطبعة الرابعة سنة ١٤١٩.

مراجع أجنبية إسلامية:

٢٩ـ Progress report: D'awah academi, iiw islam abad, Pakistan. 1985 - 1997.